# التدبر والاستنباط في القرآن الكريم

## بين النظرية و التطبيق

## دراسة تطبيقية على سورة الأنفال


الدكتور

**توفيق علي زبادي**

**أكاديمية الشريف – الفاتح – اسطنبول**


**٢٠١٩**

**مقدمة:**

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال تعالى : **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:١٠٢]**، و قال تعالى : **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١]**، وقال تعالى : **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب:٧٠-٧١]**، **أما بعد:**

فالقرآن الكريم كتاب جُعِلَت آياته مُحْكَمَة النظم والتأليف، واضحة المعاني، بليغة الدلالة والتأثير، فهي كالحصن المنيع، والقصر المشيد الرفيع، في إحكام البناء، وما يقصد به من الحفظ والإيواء مع حسن الرواء، فهي لظهور دلالتها على معانيها ووضوحها لا تقبل شكًا ولا تأويلاً، ولا تحتمل تغييرًا ولا تبديلًا، ثم جعلت فصولًا متفرقة في سوره ببيان حقائق العقائد، والأحكام والحِكم والمواعظ، وسائر ما أُنْزِلَ الكتاب له من الفوائد، قال تعالى:{ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[هود:١].

وتأتي آيات هذا الكتاب باختلاف أنواعها مرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرة بحجج من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله ﷻ.

وتأتي أفانينه مستجمعة درجات الفهم، وفيها الغاية -كل الغاية- لكل عقل صحيح، يقرؤها العالم؛ فيستشف من خلالها عِلل الأشياء، ويقرؤها الحكيم؛ فيلتمس منها أسرار الوجود، ويقرؤها غيرهما من الناس؛ فتنقاد لها قلوبهم وعقولهم، لم يجعلها الله سبحانه وتعالى نوعًا واحدًا، بل وعدًا، ووعيدًا، ومحكمًا، ومتشابهًا، ونهيًا، وأمرًا ، وأخبارًا ، وأمثالاً، وقصصاً، ومواعظاً؛ تناسب اختلاف طبائع الناس، ومستويات قُدْراتِ الفهم لديهم، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده وتلطفه بهم؛ لتحبيبهم في أحكامه ودينه، وأن يشرح لهم الأمر من كل زواياه ومن كل أبعاده، حتى يقبل الناس على دين الله عن ثقة واقتناع ورضا.

قال ابن عاشور– رحمه الله – "جاء القرآن بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائل، ولا يغادر مسلكًا إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها؛ تحريضًا أو تحذيرًا، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه؛ اجتناء ثمار أفنانه"[1].

نسأل الله السداد والتوفيق

د . توفيق علي

[1] التحرير والتنوير : ١٥/ ٤٠.

## مقدمات

## مفهوم التفسير التدبر والاستنباط

**مفهوم التفسير ونماذج منه:**

تدور مادَّةُ «**فَسَرَ**» في لُغةِ العربِ على معنى البيانِ والكشفِ والوضوحِ[٢].

ومما وردَ في ذلكَ: فَسَرْتُ الذِّراعَ: إذا كشفتُها. وفسَّرتُ الحديثَ: إذا بيَّنتُه.

قال الزركشي – رحمه الله– «علمٌ يُعرفُ به فَهْمُ كتابِ اللهِ المنَزَّلِ على نبيه محمدٍ صلّى الله عليه وسلّم، وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامِه وحِكَمِهِ»[٣].

**مثال:**

١) تفسيرُ لفظِ: «البروجِ» في قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج: ١]، فقد فسِّر لفظ البروج بأنه النُّجومُ، فيكونُ المعنى: يقسمُ ربُّنا تعالى بالسماءِ صاحبةِ النُّجومِ.

٢) احتمالُ الآيةِ لأكثرَ من وجهٍ لا يعني خروجَ هذه الأوجه عن التَّفسيرِ، بل هي منه؛ لأنَّ في كلٍّ منها بياناً، وإن اختلفتْ في تحديده.

مثالُ ذلك، اختلافهم في معنى «انكدرت» من قوله تعالى: {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير: ٢]، فقد ورد فيها معنيان:

الأول: تناثرت، فجعلهُ من الانكدار؛ أي: الانصباب، ويشهدُ له قوله تعالى: {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} [الانفطار: ٢].

الثاني: تغيَّرت، فجعله من الكُدرةِ، وهي التَّغيُّرُ بعد الصَّفاء، ويشهد له قوله تعالى: {فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ} [المرسلات: ٨].

وفي كلا المعنيينِ بيانٌ، فلو قلتَ بالقولِ الأولِ، لكان المعنى: «وإذا النُّجومُ تناثرت وسقطت». وإذا قلتَ بالقول الثاني، كان المعنى: «وإذا النُّجومُ تغيَّرت وذهب ضوؤها».

---

[٢] ينظر في ذلك: مقاييس اللُّغةِ، لابن فارس (٤:٥٠٤). وينظر مادة «فسر» في معاجم اللغة.

[٣] البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١:١٣).

## مفهوم الاستنباط ونماذج منه

تدورُ مادَّةُ «**نَبَطَ**» على أصلٍ واحدٍ، وهو استخراجُ شيءٍ[٤]، والألف والسين والتاء في استنبط تدلُّ على تطلُّبِ الشيءِ لأجلِ حصولِه، وكأنَّ فيها معنى التَّكلُّفِ في إعمالِ العقلِ الذي يحتاجُه المستنبطُ حال الاستنباطِ.

قال الطَّبريُّ (ت:٣١٠): « وكلُّ مستخرجٍ شيئاً كان مستتراً عن العيون أو عن معارف القلوبِ، فهو له مستنبطٌ، يقال: استنبطتُ الرَّكِيَّة: إذا استخرجتَ ماءها»[٥].

ويقال: **استنبط الفقيه:** إذا استخرج الفِقهَ الباطنَ بفَهْمِه واجتهادِه»[٦].

**أنواع الاستنباط:**

**قد يكون الاستنباطَ:**

١- حكمٍ فقهيٍّ،

٢-أو يكونُ استنباطَ أدبٍ تشريعيٍّ عامٍّ،

٣-أو يكونُ استنباطَ أدبٍ أخلاقيٍّ في معاملةِ الناسِ،

٤-أو يكونُ استنباطَ فوائدَ تربويةٍ تتعلق بتزكيةِ النفوسِ،

٥-أو يكون استنباطَ فائدةٍ علميةٍ.

**مثال:**

**ما يُستنبط من قوله تعالى:** {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ

---

[٤] ينظر: مقاييس اللُّغة (٥:٣٨١)، والعباب الزاخر واللباب الفاخر، للصغاني، تحقيق: محمد حسين آل ياسين (حرف الطاء: ٢٠٨).

[٥] تفسير الطبري، تحقيق: شاكر (٨:٥٧١).

[٦] العباب الزاخر واللباب الفاخر، للصغاني، تحقيق: محمد حسين آل ياسين (حرف الطاء: ٢٠٧).

مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[البقرة: ١٨٧].

قال الجصَّاص (ت:٣٧٠): «وفيها الدلالةُ على أنَّ الجَنَابَةَ لا تُنَافِي صحَّةَ الصومِ لما فيه من إباحةِ الجماعِ من أوَّلِ الليل إلى آخره مع العلم بأنَّ المجامعَ في آخر الليل . إذا صادف فراغُه من الجماع طلوعَ الفجر . يصبح جُنُباً، ثم حُكِمَ . مع ذلك . بصحَّةِ صومه بقوله: **{ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}**»[٧].

**الاستنباط من القصص:**

ذكر السيوطي (ت:٩١١) من جملة الاستنباطات والفوائد في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، قال: «فيها: أنه لا بأس بالاستخدام واتخاذ الرقيق والخادم في السفر.

واستحباب الرحلة في طلب العلم.

واستزادة العالم من العلم.

واتخاذ الزاد للسفر، وأنه لا ينافي التوكل.

ونسبة النسيان مجازاً وتأدباً عن نسبتها إلى الله تعالى.

وتواضع المتعلم لمن يتعلم منه، ولو كان دونه في المرتبة.

واعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه في عدم تعليمه ما لا يحتمله طبعُه.

وتقديم المشيئة في الأمر.

واشتراط المتبوع على التابع.

وأنه يلزم الوفاء بالشرط.

وأن النسيان غيرُ مأخوذ به.

وأنَّ الثلاث اعتباراً في التكرار ونحوه.

وأنه لا بأس بطلب الغريب للطعام والضيافة.

وأن صنع الجميل لا يُتركُ ولو مع اللئام.

وجواز أخذ الأجرة على الأعمال.

---

[٧] أحكام القرآن، للجصاص (١:٢٨٨).

وأنَّ المسكين لا يخرج عن مسكنته بكونه له سفينة أو آلة تَكَسُّبٍ أو شيء لا يكفيه.
وأنَّ الغصب حرام.
وأنَّه يجوز إتلاف مال الغير وتعييبه لوقاية باقيه؛ كمال المودِع واليتيم.
وإذا تعارضت مفسدتان ارتكب الأخف.
وأنَّ الولدَ يُحفَظُ بصلاح أبيه ...»[٨].

**حكم الاستنباط:**

**١) أنْ يكونَ الاستنباطُ صحيحاً:**

**مثال:**

ما ذكر السيوطي (ت:٩١١) في قوله تعالى: {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}، قال: «واستدل به الشافعي على صحة أنكحة الكفار» [٩].

**٢) أنْ لا يكون الاستنباطُ صحيحاً:**

**مثال:**

استنباطُ بعض الصُّوفيَّة جوازَ الرَّقصِ من قوله تعالى: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ} [ص: ٤٢]، وهذا الاستنباطُ غيرُ صحيحٍ، والمعنى المدلول عليه خطأ بذاته، وهو الرَّقصُ؛ إذ الرَّقصُ لا يجوز أصلاً.

قال القرطبي (ت:٦٧١): «استدل بعض جهال المتزهدة وطغام المتصوفة بقوله تعالى لأيوب: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ} [ص: ٤٢] على جواز الرَّقص.

قال أبو الفرج الجوزي: وهذا احتجاج بارد؛ لأنه لو كان أُمِرَ بضربِ الرِّجلِ فَرَحاً كان لهم فيه شبهة، وإنما أُمِرَ بضرب الرِّجلِ ليَنْبُعَ الماءُ.

قال ابن عقيل: أين الدلالة في مبتلى أُمِرَ . عند كشف البلاء . بأن يضرب برجله الأرض؛ لينبع الماء إعجازاً = من الرقص، ولئن جاز أن يكون تحريكُ رِجلٍ قد أَنْحَلَها

---

[٨] الإكليل في استنباط التنْزيل (ص:١٤٧).

[٩] الإكليل في استنباط التَّنْزيل (ص:٢٣٠).

قال أبو الفرج الجوزي: وهذا احتجاج بارد؛ لأنه لو كان أُمِرَ بضربِ الرِّجلِ فَرَحاً كان لهم فيه شبهة، وإنما أُمِرَ بضرب الرِّجلِ ليَنْبُعَ الماءُ.

قال ابن عقيل: أين الدلالة في مبتلى أُمِرَ . عند كشف البلاء . بأن يضرب برجله الأرض؛ لينبع الماء إعجازاً؛ من الرقص، ولئن جاز أن يكون تحريكُ رِجلٍ قد أَنْحَلَها تَحَكُّمُ الهوامِّ دلالةً على جواز الرقص في الإسلام؛ جاز أن يُجعلَ قوله سبحانه لموسى: {اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ} [البقرة: ٦٠] دلالة على ضرب الجماد بالقضبان، نعوذ بالله من التَّلاعب بالشرع » [١٠].

**الاستنباطُ بإعمالِ مفهومِ المخالفةِ:**

وذلك أن يأتيَ النَّصُّ بخبرٍ أو حكمٍ، فما كانَ فيه من معنى الخبر أو الحكم المنصوص عليه مباشرةً، فهو من التَّفسيرِ، وما يُفهَمُ عنه من معانِ أحكامٍ أخرى، فهو من الاستنباطِ.

**مثال:**

استنباط الشَّافِعِيُّ (ت:٢٠٤) وقوع الرؤية من قوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥]، قال: «فَلَمَّا أن حَجَبَوا هؤلاء في السُّخْطِ، كان في هذا دَليلٌ على أنَّهم يرونه في الرِّضا»[١١].

**شروط الاستنباط الحسن:**

١- أن لا يناقضَ معنى الآية.
٢- أن يكون معنًى صحيحاً في نفسِهِ.
٣- أن يكون في اللَّفظِ إشعارٌ به.

---

[١٠] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥: ٢١٥).

[١١] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: الدكتور أحمد سعد الحمدان (٣:٥٠٦)، وينظر منه: (٣:٤٦٧ – ٤٦٩).

٤- أن يكون بينه وبين معنى الآيةِ ارتباطٌ وتلازمٌ، فإذا اجتمعت هذه الأمورُ الأربعةُ كان استنباطاً حسناً» [١٢].

[١٢] التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، تصحيح: طه يوسف شاهين (ص:٥١).

## مفهوم التدبر ونماذج منه

تدلُّ مادة «دَبَرَ» على آخرِ الشَّيءِ، ومنه دُبُرُ الشيء؛ أي آخره؛ كأدبار الصلوات.

والتَّدبُّرُ: النَّظرُ في أدبارِ الشَّيء، والتفكيرُ في عاقبتِه.

وقد استُعملَ في كلِّ تأمُّلٍ يقعُ من الإنسانِ في حقيقةِ الشَّيءِ أو أجزائه أو سوابقِه أو لواحقه أو أعقابه [١٣].

وجاءَ على صيغةِ التَّفعُّلِ، ليدلَّ على تكلُّفِ الفعلِ، وحصولِه بعد جُهْدٍ، والتَّدبُّرُ: حصول النَّظرِ في الأمرِ المُتَدَبَّرِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ.

وقد جاءَ الأمرُ بتدبُّرِ القرآنِ في أربعةِ مواضعَ من القرآنِ، والعجيبُ أنَّ آيتينِ نزلتْ في سياقِ المنافقينَ، وهما قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢]، وقوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤].

وجاءت آيتانِ في سياقِ الكفَّارِ، وهما قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: ٦٨ –]، وقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} [ص: ٢٩].

وتحتملُ آيةُ سورةِ «ص» أن يكون المؤمنونَ داخلونَ في الأمرِ بالتَّدبُّرِ، ويشهدُ له قراءةُ من قرأ: {لتدبروا آياته} بالتاء[١٤]، بمعنى: لتتدبَّره أنت يا محمد وأتباعُك[١٥].

وليس نزولُ الآيةِ في سياق غيرِ المؤمنينَ يعني أنَّ المؤمنينَ لا يُطلبُ منهم التَّدبُّرُ، بل هم مأمورونَ به، وداخلونَ في الخطاب من باب أولى؛ لأنَّهم أهلُ الانتفاعِ بتدبُّرِ القرآنِ. وإنَّما المرادُ هنا بيانُ من نزلت بشأنه الآياتُ، دون بيان صحَّةِ دخولِ المؤمنينَ في الخطابِ، واللهُ أعلمُ.

---

[١٣] ينظر: روح المعاني (٥:٩٢).

[١٤] هي قراءة أبي جعفر المدني من العشرة، وقد نُسِبَتْ إلى عاصم، ينظر: تفسر الطبري، ط: الحلبي (٢٣:١٥٣)، والمحرر الوجيز، ط: قطر (١٢:٤٥٢ – ٤٥٣)، والنَّشر في القراءات العشر (٢:٣٦١).

[١٥] ينظر: تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٣:١٥٣).

والآياتُ الآمرةُ بالتَّدبُّرِ منها ما جاءَ على شيءٍ مخصوصٍ؛ كقوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢].

ومنها ما جاءَ مطلَقاً بالتَّدبُّرِ العامّ؛ كقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} [ص: ٢٩].

والأصلُ أنَّ مرحلةَ التَّدبُّرِ تأتي بعدَ الفَهْمِ، إذ لا يُمكنُ أن يُطلبَ منك تدبُّرُ كلامٍ لا تعقِلُه، وهذا يعني أنَّه لا يوجدُ في القرآنِ ما لا يُفهَمُ معناهُ مطلقاً، وأنَّ التَّدبُّرَ يكونُ فيما يتعلَّقُ بالتَّفسيرِ؛ أي أنَّه يتعلَّقُ بالمعنى المعلومِ.

قال الطبري (ت:٣١٠): «وفي حَثِّ الله عزّ وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات . بقوله جل ذكره لنبيه صلّى الله عليه وسلّم: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} [ص:٢٩]، وقوله: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} {قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: ٢٧ – ٢٨]، وما أشبه ذلك من آي القرآن، التي أمر الله عباده وحثَّهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه . ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آية.

**الاستنباط من نتائج التدبر:**

**مثال ذلك:**

ذكر ابن القيّمِ (ت:٧٥١) في كتابه «زاد المهاجر» من تفسير قصَّةِ إبراهيم عليه السلام في سورة الذَّارياتِ، قال: «فصل في: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤].

فإن قلتَ: إنَّك قد أشرْتَ إلى مقامٍ عظيمٍ، فافتحْ لي بابَه واكشفْ لي حجابَه، وكيف تَدَبُّرُ القرآنِ وتَفَهُّمُهُ والإشرافُ على عجائبه وكنوزه؟! وهذه تفاسيرُ الأئمَّةِ بأيدينا، فهل في البيانِ غيرُ ما ذكروه؟.

قلتُ: سأضرب لك أمثالاً تَحْتَذِي عليها، وتجعلها إمَاماً لك في هذا المقصدِ.

قال اللهُ تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ *إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ *فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ *فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَاكُلُونَ *فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ *فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ *قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} [الذاريات: ٢٤ – ٣٠].

فعهدي بكَ إذا قرأتَ هذه الآية، وتطلَّعتَ إلى معناها، وتدبَّرتها، فإنَّما تَطْلُعُ منها على أنَّ الملائكةَ أتَوا إبراهيمَ في صورةِ الأضيافِ يأكلونَ ويشربون، وبشَّرُوه بغلامٍ عليمٍ، وإنَّما امرأتُه عجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة: أن الله قال ذلك، ولم يتجاوزْ تَدَبُّرُكَ غير ذلك.

فاسمعِ الآنَ بعضَ ما في هذه الآيات من أنواعِ الأسرارِ، وكم قد تضمَّنت من الثَّنَاءِ على إبراهيم؟.

وكيف جمعتِ الضِّيافةَ وحقوقَها؟ وما تضمَّنتْ منَ الرَّدِّ على أهلِ الباطلِ من الفلاسفةِ والمعطِّلةِ.

وكيف تضمَّنتْ علماً عظيماً من أعلام النُّبوَّةِ؟.

وكيف تضمَّنتْ جميعَ صفاتِ الكمالِ التي رَدَّهَا إلى العلمِ والحكمةِ؟

وكيف أشارت إلى دليلِ إمكانِ المعاد بألطفِ إشارةٍ وأوضحِها، ثُمَّ أفصحتْ وقوعَه؟.

وكيف تضمَّنتْ الإخبار عن عدلِ الرَّبِّ وانتقامِه من الأممِ المكذِّبةِ، وتضمَّنتْ ذِكْرَ الإسلامِ والإيمانِ والفرقِ بينهما، وتضمنتْ بقاءَ آياتِ الرَّبِّ الدَّالَّةِ على توحيدِه وصدقِ رُسُلِهِ وعلى اليوم الآخرِ، وتضمَّنتْ أنَّه لا ينتفعُ بهذا كلِه إلاَّ من في قلبِه خوفٌ من عذابِ الآخرةِ، وهم المؤمنون بها، وأمَّا من لا يخافُ الآخرةِ ولا يؤمنُ بها، فلا ينتفعُ بتلك الآياتِ؟ فاسمع الآن بعض تفاصيل هذه الجملةِ» [١٦].

قال الله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤)} افتتحَ الله سبحانَه القصةَ بصيغة موضوعة للاستفهام، وليس المراد به حقيقته من الاستفهام؛ ولهذا قال بعض الناس: إن "هل" في مثل هذا الموضع بمعنى "قد" التي تقتضي التحقيق.

---

[١٦] زاد المهاجر إلى ربّه، لابن القيّم (ص:٦٣ – ٦٨).

ولكن في ورود الكلام في مثل هذا الاستفهام سر لطيف، ومعنى بديع، فإن المتكلم إذا أراد أن يخبر مخاطَبَه بأمر عجيب ينبغى الاعتناءُ به، وإحضارُ الذهن له، صَدَّرَ له الكلامَ بأداةٍ تُنَبِّهُ سمعَه وذهنَه للخبر، فتارةً يُصدِّره بـ"ألا"، وتارةً يُصدِّره بـ"هل"، [فيقولُ: هل علمتَ ما كان من كيتَ وكيتَ؟ إما مُذكّرًا به، وإما واعظًا له مخوِّفًا]، وإما منبِّهًا على عظمةِ ما يُخْبَر به, وإما مقرّرًا له.

فقوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥)} و {هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ} و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)} و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤)} متضمن لتعظيم هذه القصص، والتنبيه على تدبرها، ومعرفة ما تضمنته.

وفيه أمر آخر، وهو التنبيهُ على أن إتيان هذا إليك عَلَمٌ من أعلام النُّبوة؛ فإنه من الغيب الذي لا تعلمه أنت ولا قومك، فهل أتاك من غير إعلامنا وإرسالنا وتعريفنا أم لم يأتك إلا مِنْ قِبَلِنَا؟

فانظر ظهور هذا الكلام بصيغة الاستفهام، وتأمل عِظَمَ موقعه في جميع موارده يشهد أنه من الفصاحة في ذروتها العليا.

وقوله: {ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤)} متضمن لثنائه على خليله إبراهيم؛ فإن في {المكرمين} قولين :

أحدهما: إكرام إبراهيم لهم؛ ففيه مدحٌ له (١) بإكرام الضيف.

والثاني: أنهم مكرمون عند الله؛ كقوله: {بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦)}، وهو متضمن أيضًا لتعظيم خليله ومدحه؛ إذ جعل ملائكته المكرمين أضيافًا له.

فعلى كلا التقديرين فيه مدح لإبراهيم.

وقوله تعالى: {فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} متضمن لمدحٍ آخر لإبراهيم حيث ردَّ عليهم أحسنَ مما حَيَّوه به؛ فإن تحيتهم باسم منصوبٍ متضمن لجملةٍ فعليَّةٍ، تقديره: سلَّمنا عليك سلامًا، وتحيةُ إبراهيم لهم باسمٍ مرفوعٍ متضمن لجملةٍ اسميَّةٍ، تقديره: سلامٌ ثابتٌ أو دائم أو مستقرٌّ عليكم. ولا ريبَ أن الجملة الاسمية تقتضي الثبوت واللزوم، والفعلية تقتضي التجدد والحدوث؛ فكانت تحية إبراهيم أكملَ وأحسنَ .

ثم قال: {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥)}، وفي هذا من حُسْنِ مخاطبة الضيف والتذمُّم منه وجهان من المدح:

أحدهما: أنه حذف المبتدأ، والتقدير أنتم منكرون، فتذمَّم منهم، ولم يُواجهْهم بهذا الخطاب لما فيه من بعض الاستيحاش، بل قال: {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥)}، ولا ريب أن حذف المبتدأ في هذا من محاسن الخطاب، وكان النبي – ﷺ – لا يُواجِهُ أحدًا بما يكرهُه، بل يقول: "ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا، ويفعلون كذا".

والثاني: قوله {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ}؛ فحذف فاعل الإنكار، وهو الذي كان أنكرهم؛ كما قال تعالى في موضع آخر: {نَكِرَهُمْ}، ولا ريب أن قوله: {مُنْكَرُونَ (٢٥)} ألطفُ من أن يقول: أنكرتُكم.

وقوله: {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)} متضمنٌ وجوهًا من المدح، وآداب الضيافة، وإكرام الضيف:

منها: قوله {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ} , والروغانُ: الذهاب في سرعة واختفاءٍ، وهو يتضمن المبادرة إلى إكرام الضيف، والاختفاءُ ترك تخجيله وألا يُعرِّضَه للحياء، وهذا بخلاف من يتثاقل، يَتبارَدُ على ضيفِه، ثم يبرز بمرأًى منه، ويَحُلُّ صُرَّةَ النفقة، ويَزِنُ ما يأخذ، ويتناول الإناء بمرأى منه، ونحو ذلك مما يتضمن تخجيل الضيف وحياءه، فلفظةُ "راغ" تنفي هذين الأمرين.

وفي قوله: {إِلَى أَهْلِهِ} مدحٌ آخر، لما فيه من الإشعار بأن كرامة الضيف مُعَدَّةٌ حاصلةٌ عند أهله، وأنه لا يحتاج أن يَستقرِضَ من جيرانه، ولا يذهب إلى غير أهله، إذْ نُزُلُ الضيفِ حاصل عندهم.

وقوله: {فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦)} يتضمن ثلاثة أنواع من المدح:

أحدها: خدمة ضيفه بنفسه، فإنه لم يرسل به، وإنما جاء به بنفسه.

الثاني: أنه جاءهم بحيوان تام لم يأتهم ببعضه؛ ليتخيّروا من أطايب لحمه ما شاءوا.

الثالث: أنه سمين ليس بمهزولٍ، وهذا من نفائس الأموال، ولدُ البقرة السمين، فإنهم يُعْجَبون به، فمن كرمه هان عليه ذَبْحُه وإحضارهُ.

وقوله: {إليهم} متضمنٌ لمدحٍ وأدبٍ آخر، وهو إحضار الطعام إلى بين أيدي الضيف، بخلاف من يُهيّئُ الطعامَ في موضع، ثم يُقِيم ضيفَه؛ فيُورِدُه عليه.

وقوله: {قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)} فيه مدحٌ وأدب آخر؛ فإنه عرض عليهم الأكل بقوله: {أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)}، وهذه صيغة عرضٍ مؤذنة بالتلطف، بخلاف من يقول: ضعوا أيديكم في الطعام، كلوا، تقدموا، ونحو ذلك.

وقوله: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}؛ لأنه لما رآهم لا يأكلون من طعامه أضمر منهم خوفًا أن يكون منهم شر؛ فإن الضيف إذا أكل من طعام ربِّ المنزل اطمأنَّ إليه وأنس به، فلما علموا منه ذلك {قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)}، وهذا الغلام إسحاق لا إسماعيل؛ لأن امرأته عَجبَتْ من ذلك، وقالت: عجوزٌ عقيمٌ لا يُولَد لمثلي، فأنى [لي] الولد؟ وأما إسماعيل فإنه من سُرِّيته هاجرَ، وكان بِكْرَه وأولَ ولدِه، وقد بين سبحانه في سورة هود (٦) في قوله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١)} في هذه القصةِ نفسِها.

وقوله: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا}؛ فيه بيان ضعف عقل المرأة وعدم ثباتها؛ إذ بادرتْ إلى النُّدبةِ وصَكِّ الوجهِ عند هذا الإخبار.

وقوله: {وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩)} فيه حسن أدب المرأة عند خطاب الرجال، واقتصارها من الكلام على ما يتأدى به الحاجة، فإنها حذفت المبتدأ، فلم تقل: أنا عجوز عقيم، واقتصرت على ذكر السبب الدال على عدم الولادة، لم تذكر غيره، وأما في سورة هود فذكرتِ السببَ المانعَ منها ومن إبراهيم، وصرَّحتْ بالتعجب.

وقوله: {قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ} متضمن لإثبات صفة القول [له] .

وقوله: {إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠)} متضمنٌ لإثبات صفة الحكمة والعلم اللذين هما مصدرُ الخلق والأمر، فجميعُ ما خلقه سبحانه صادرٌ عن علمه وحكمته، وكذلك أمُره وشرعُه مصدرُه عن علمه وحكمته.

والعلم والحكمة متضمنان لجميع الكمال، فالعلم يتضمن الحياة ولوازم كمالها من القومية، [والقدرة]، والبقاء، والسمع، والبصر، وسائر الصفات التي يستلزمها العلم التَّام.

والحكمة تتضمنُ كمالَ الإرادة، من العدل، والرحمة، والإحسان، والجود، والبر، ووَضْع الأشياء مواضعَها على أحسن وجوهها، ويتضمن إرسال الرسل، وإثبات الثواب والعقاب.
كلُّ هذا يُعلَم من اسمه "الحكيم"، كما هي طريقة القرآن في الاستدلال على هذه المطالب العظيمة بصفة الحكمة، والإنكار على من يزعم أنه خلق الخلقَ عبثًا أو سُدىً أو باطلًا.
فنفسُ (٤) حكمته تتضمن الشرعِ والقَدَر، والثواب والعقاب، ولهذا كان أصح القولين أن المعاد يُعلم بالعقل، وأن السمع ورد بتفصيل ما يدل العقل على إثباته.
ومن تأمل طريقة القرآن وجدها على ذلك، وأنَّ الله سبحانه يَضْرِب لهم الأمثال المعقولة التي تَدلُّ على إمكان المعاد تارةً ووقوعه أخرى، فيذكر أدلة القدرة الدالة على إمكان المقدور، وأدلة الحكمة المستلزمة لوقوعه.
ومن تأمل أدلّة المعاد في القرآن وجدها كذلك مُغنِيةً –بحمد الله ومِنَّتِه على عبادِه– عن غيرها، كافية شافية مُوصِلةً إلى المطلوب بسرعة، متضمّنة للجواب عن الشُّبَه العارضة لكثير من الناس.
وإن ساعدَ التوفيقُ من الله كتبتُ في ذلك سفرًا كبيرًا، لما رأيتُ في الأدلة التي أرشد إليها القرآن من الشفاء، والهدى، وسرعة الإيصال، وحسن البيان، والتنبيه على مواضع الشبه والجواب عنها بما ينثلجُ له الصدرُ؛ ويُشْرِقُ معه اليقينُ، بخلاف غيره من الأدلة، فإنها على العكس من ذلك، وليس هذا موضع التفصيل.
والمقصود أن مصدر الأشياء خلقًا وأمرًا على علم الرب وحكمته.
واختصت هذه القصة [بذكر] هذين الاسمين لاقتضائها لهما ؛ لتعجُّبِ النفوس من تولد مولودٍ بين أبوين لا يُولَد لمثلهما عادة، وخفاء العلم بسبب هذا الإيلاد، وكون الحكمة اقتضت جريانَ هذه الولادة على [غير] العادة المعروفة؛ فذكر في الآية اسم العلم والحكمة المتضمن لعلمه سبحانه بسبب هذا الخلق وغايته، وحكمته في وضعه موضعه من غير إخلالٍ بموجب الحكمة.
ثمَّ ذكر سبحانه قصةَ الملائكة في إرسالهم لإهلاك قوم لوط، وإرسال الحجارة المسَوَّمَة عليهم، وفي هذا ما يتضمن تصديقَ رسله وإهلاكَ المكذِّبين لهم، والدلالة على المعاد

والثواب والعقاب؛ لوقوعه عيانًا في هذا العالم، وهذا من أعظم الأدلة الدالة على صدق رسله وصحةِ ما أخبروا به عن ربهم.

ثمَّ قال: {فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، ففرَّقَ بين الإسلام والإيمان هنا لسرٍّ اقتضاه الكلام؛ فإن الإخراج هنا عبارة عن النجاة، فهو إخراج نجاةٍ من العذاب، ولا ريب أن هذا مختصٌّ بالمؤمنين المتبعين للرسل ظاهرًا وباطنًا.

وقوله: {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)} لما كان الموجودون من المخرجين أوقع اسم الإسلام عليهم؛ لأنَّ امرأة لوط كانت من أهل هذا البيت، وهي مسلمةٌ في الظاهر، فكانت في البيت الموجودين لا في القوم الناجين. وقد أخبر الله سبحانه عن خيانة امرأة لوط،

وخيانتُها أنّها كانت تدلُّ قومَها على أضيافِه وقَلْبُها معهم، وليست خيانةَ فاحشةٍ، فكانت من أهل البيت المسلمين ظاهرًا، وليست من المؤمنين الناجين.

ومن وَضَع دلالاتِ القرآن وألفاظه مواضعها، تبينَ له من أسرارِه وحِكَمِه ما يَهُزُّ العقول، ويعلم معه تنزُّلَه من حكيم حميد.

وبهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور، وهو أن الإسلام أعمُّ من الإيمان، فكيف استثنَى الأعمَّ من الأخصِّ، وقاعدة الاستثناء تقتضي العكس؟

وتبينَ أن المسلمين مُستثنَيْنَ مما وقع عليه فعل الوجود، والمؤمنين غير مستثنين منهم، بل هم المُخرَجون الناجون.

وقوله تعالى: {وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)}، فيه دليل على أن آيات الله سبحانه وعجائبه التي فَعَلَها في هذا العالم وأبقى آثارَها دالَّةً عليه وعلى صدقِ رسله، إنما ينتفع بها من يؤمن بالمعاد، ويخشى عذاب الله؛ كما قال تعالى في موضع آخر: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ}، وقال تعالى: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)}.

فإن من لا يؤمن بالآخرة غايتُه أن يقول: هؤلاء قومٌ أصابَهم الدهرُ كما أصابَ غيرَهم، ولا زال الدهرُ فيه الشقاءُ والسعادة، وأما من آمن بالآخرة وأشفقَ منها، فهو الذي ينتفع بالآيات والمواعظ.

والمقصود بهذا إنما هو التمثيل والتنبيه على تفاوتِ الأفهام في معرفة القرآن، واستنباطِ أسراره، وإثارةِ كنوزه، واعتبِرْ بهذا غيرَه، والفضلُ بيد الله يؤتيه من يشاء[١٧].

**المعاني المقاربةِ للتَّدبرِ:**

ويقربُ من معنى التَّدبُّرِ التَّفكُّرُ والتَّذكُّرُ والنَّظرُ والتَّأملُّ والاعتبارُ والاستبصارُ، وقد وردت هذه المعاني في القرآن في مواطن.

قال ابن القيّمِ (ت:٧٥١): «... وهذا يسمَّى تفكُّراً وتذكُّراً ونظراً وتأمُّلاً واعتباراً وتدبُّراً واستبصاراً، وهذه معانٍ متقاربةٌ تجتمعُ في شيءٍ وتتفرقُ في آخر.

ويسمَّى تفكُّراً؛ لأنه استعمالُ الفكرةِ في ذلك، وإحضارُه عنده.

ويسمَّى تذكُّراً؛ لأنَّه إحضارٌ للعلمِ الذي يجب مراعاته بعد ذهولِه وغيبتِه عنه، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠١].

ويسمَّى نظراً؛ لأنَّه التفاتٌ بالقلبِ إلى المنظورِ فيه.

ويسمَّى تأمُّلاً؛ لأنه مراجعةٌ للنَّظرِ كرَّةً بعد كرَّةٍ، حتى يتجلَّى له وينكشفَ لقلبِه.

ويُسَمَّى اعتباراً، وهو افتعالٌ من العبورِ؛ لأنَّه يَعْبُرُ منه إلى غيرِه، فَيَعْبُرُ من ذلك الذي قد فَكَّرَ فيه إلى معرفةٍ ثالثةٍ، وهي المقصود من الاعتبار، ولهذا يُسَمَّى عِبْرَةً، وهي على بناءِ الحالاتِ كالجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ والقِتْلَةِ إيذاناً بأنَّ هذا العلمَ والمعرفةَ قد صار حالاً لصاحبِه يَعْبُرُ منه إلى المقصودِ به، وقال الله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى} [النازعات: ٢٦]، وقال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ} [آل عمران: ١٣].

---

[١٧] زاد المهاجر إلى ربّه، لابن القيّم (ص: ٦٨- ٨٤).

ويُسمَّى تدبُّراً؛ لأنَّه نظرَ في أدبارِ الأمورِ، وهي أواخرُها وعواقبها، ومنه تدبُّرُ القول ...»[١٨].

[١٨] مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١:١٨٢).

# التناسب والتناسق بين أفانين القرآن
# سورة الأنفال دراسة تطبيقية

**مبحث تمهيدي:**

**المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث:**

**١) التناسب:**

**نسب:**

النون والسين والباء؛ كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيءٍ منه النسب، سُمِّي لاتصاله وللاتصال به [١٩].

**المناسبة في الاصطلاح:**

هي : "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[٢٠].

**وقيل** : هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه في كتاب الله تعالى.

تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[٢١].

**ونعني بتناسب أفانين السور**: وجه ارتباط أساليب السورة من قصص، وأمثال، وأحكام ومواعظ، وأسماء الله الحسنى، وسنن الله معاملة خلقه، ونداء، وفرائد قرآنية وغير ذلك من الأساليب بمقصد السورة؛ بصورة تقرر هذا المقصد وتبرزه جلياً.

**٢) التناسق:**

نَسَقَ: النُّونُ وَالسِّينُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَابُعٍ فِي الشَّيْءِ. وَكَلَامٌ نَسَقٌ: جَاءَ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ قَدْ عُطِفَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ. وَأَصْلُهُ قَوْلُهُمْ: ثَغْرٌ نَسَقٌ، إِذَا كَانَتِ الْأَسْنَانُ مُتَتَاسِقَةً مُتَسَاوِيَةً، وَخَرَزٌ نَسَقٌ: مُنَظَّمٌ[٢٢].

**ونعني بتناسق أفانين السور:**

التحام أساليب السورة القرآنية وتماسكها واتساق معانيها لخدمة مقصد السورة.

**معنى أفانين السورة :**

**٣) أفانين:**

---

(١٩) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،: ٤٢٣/٥.

(٢٠) ابن العربي، القاضي أبي بكر ابن العربي، سراج المريدين:٢ / ١٠٨.

(٢١)مسلم ، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي: ص٥٨.

(٢٢) مقاييس اللغة لابن فارس: ٥/ ٤٢٠.

قال ابن فارس – رحمه الله –:

فن: الفاء والنون أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تَعْنِيَة، والآخر على ضرب من الضروب في الأشياء كلها.

فالأول: الفن، وهو التعنية والاطراد الشديد. يقال: فنَنْتُه فنًّا، إذا أطردته وعنَّيته.

والآخر الأفانين: أجناس الشيء وطرقه. ومنه الفنن، وهو الغصن، وجمعه أفنان[٢٣].

والمعنى الثاني هو المُراد.

٤) **وأفانين الكلام:** أساليبه وطُرقه وأجناسه[٢٤].

٥) **وأفانين القرآن الكريم:** هو أسلوبه وطريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

٦) **السُّورَةُ:**

المنزلة الرفيعة، وسُورُ المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسُورَةُ القرآن تشبيهًا بها؛ لكونه محاطًا بها إحاطة السّور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر[٢٥].

فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال يرتفع القارئ منها إلى درجة أخرى ومنزل آخر إلى أن يستكمل القرآن[٢٦].

٧) **واصطلاحًا:** قرآن يشتمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات"[٢٧]، وخص ذلك القدر بتسميته سورة؛ لأنه أقل قطعة وقع به التحدي.

٨) **والمقصود بأفانين السورة :**

هو أسلوبها وطريقتها التي انفردت بها في تحقيق غرض تامٍّ ترتكز عليه معانى آيات تلك السورة.

## المطلب الثاني

## معنى السورة الذي وقع به التحدي

**مراحل التحدي:**

---

[٢٣] مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/ ٤٣٥.

[٢٤] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: ٣/ ١٧٤٦.

[٢٥] مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ٤٣٤.

[٢٦] الكليات، للكفوي: ٤٩٤.

[٢٧] مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، ص: ٤١.

قال الشيخ الزرقاني –رحمه الله– ومن عجيب أمر هذا القرآن وأمر هؤلاء العرب أنه طاولهم في المعارضة، وتنازل لهم عن التحدي بجميع القرآن إلى التحدي بعشر سور مثله ثم إلى التحدي بسورة واحدة من مثله وهم على رغم هذه المطاولة ينتقلون من عجز إلى عجز ومن هزيمة إلى هزيمة وهو في كل مرة من مرات هذا التحدي وهذه المطاولة ينتقل من فوز إلى فوز ويخرج من نصر إلى نصر.

تصور أنه قال لهم في سورة الطور أول ما تحداهم: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ؟ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ , فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} فلما انقطعوا مد لهم في الحبل وقال في سورة هود: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ , فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} فلما عجزوا هذه المرة أيضا طاولهم مرة أخرى وأرخى لهم الحبل إلى آخره وقال في سورة البقرة: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}؛ فكان عجزهم بعد ذلك أشنع وأبشع وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر فلم يفعلوا ولن يفعلوا ودحضت حجتهم وافتضح أمرهم وظهر أمر الله وهم كارهون؛ بهذا يتبين لك أن القدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه[٢٨].

**هل المعنى اللغوي للسورة الذي وقع به التحدي أم المعنى الاصطلاحي؟**

يذهب الإمام البقاعي–رحمه الله– إلى أنَّ معنى (السورة) في مقام التحدِّي هو المعنى اللغوي: أي قطعة من القرآن الكريم آية فما فوقها، فالإعجاز والتحدّي معًا واقعان بالآية الواحدة[٢٩].

**والجمهور على أنَّ المراد في مقام التحدي هو المعنى الاصطلاحي :**

«قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يَتَغَيَّرانِ مُسَمَّاةٌ باسْمٍ مخصوص تشتمل على ثلاث آيات فأكثر **في غرض تامٍ** ترتكز عليه معانى آيات تلك السورة ناشئ عن أسباب النزول أو عن مقتضيات ما تشمل عليه من المعاني المتناسبة [٣٠].

---

([٢٨]) مناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٣٣٤.

([٢٩]) العزف على أنواع الذكر لمحمود توفيق سعد : ٢٣.

([٣٠]) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور:٨٤/١

وقال أبو الحسن الحَرالّيّ (ت:٦٣٧) : «السورة تمام جملة من المسموع محيط بمعنى قام بمنزلة إحاطة السور بالمدينة»[٣١].

**فإن قيل: ما الفائدة فِي تفصيل القرآن على السور؟**

**قيل: فِيهِ فوائد كثيرةِ منها:**

١) أن القارئ إذا خرج من سورة إلى سورةِ أخرى؛ كان أنشط لقراءته وأحلى فِي نفسه.

٢) ومنها: أن تختص كل سورة بقدر مخصوص كاختصاص القصائد.

٣) ومنها: أن الإنسان قد يضعف عن حفظ الجميع،؛ فيحفظ سورة تامة؛ فربما كان ذلك سببًا يدعوه إلى حفظ غيرها[٣٢].

---

(٣١) نظم الدرر للبقاعي:١٦٢/١– ط: الهند

(٣٢) التفسير الوسيط للواحدي: ١/ ١٠٢.

## المطلب الثالث

## بناء السورة القرآنية

كلَّ سورة لها مقصدٌ واحدٌ يُدار عليه أوَّلُها وآخرُها، ويستدلُّ عليه فيها، فترتَّب المقدِّمات الدَّالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج، واذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليلٍ استدلّ عليه، وهكذا فى دليل الدليل، وهلمَّ جرّا، فإذا وصل الأمرُ إلى غايتِه ختِمَ بما منْه ابتدأ، ثم انعطف الكلامُ وعاد النظر عليه على نهج آخر بديع، ومَرَّ فى غير الأوَّل منيع، فتكونُ السورة كالشجرة النَّضيرة العالية والدَّوحة البهيجة الأنيقة الحَالِية المُزَيَّنة بأنواع الزِّينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدُّر وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكلُّ دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السُّورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كلُّ سورة دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ البديعة النظم العجيبة الضَّمِّ بِلِينِ تعاطف أفنائها، وحسن تواصُلِ ثمارِها وأفنانِها[٣٣].

فمن مقتضَيات هذا أنَّ " مَنْ حقَّقَ المقصودَ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ عرف تناسبَ آياتها وقصصها وجميع أجزائها [٣٤].

فالسُّورةُ فى تناسب جُملها وآياتِها ونجومِها ومَعاقِدِها تُشبه الشَّجرةَ ذات الأوراق والأغصان، والتي يسرى فيها كلِّها عصارة واحدة، فلا تختلف طعومها ولا رائحتها، فجميع ثمارها سواء، وجميع أغصانها وأوراقها سواء، هذه العصارة فى الشجرة هي المقصود والمغزى فى السورة وهى المبدأ المُهيمن على كل شيء فيها [٣٥].

## المطلب الرابع

## حكمة التحدي بالسورة

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[البقرة:٢٣].

---

(٣٣) البقاعيّ: مصاعد النظر: ١٤٩/١

(٣٤) المرجع السابق .

(٣٥) البقاعيّ: مصاعد النظر: ١٤٩/١

قال الواحدي(ت: ٤٦٨)- رحمه الله- :" فالمعنى: فأتوا بمثل ما أتى به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي **الإعجاز وحسن النظم والإخبار عما كان وعما يكون دون تعلم الكتاب ودراسة الأخبار**[٣٦].

وقال الزمخشري(ت: ٥٣٨)- رحمه الله- :" فإن قلت: وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل؟

قلت: معناه فأتوا بسورة مما هو على **صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم**... ورَدّ الضمير إلى المُنَزَّل أوجه، لقوله تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)، (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ)، (عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)؛ ولأن القرآن جدير **بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب**، والكلام مع ردّ الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبًا.

وذلك أن الحديث في المُنَزَّل لا في المُنَزَّل عليه، وهو مسوق إليه ومربوط به، فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير إلى غيره [٣٧].

وقال ابن عطية (ت: ٥٤٢)- رحمه الله- :" اختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله مِثْلِهِ: فقال جمهور العلماء: هو عائد على القرآن ثم اختلفوا. فقال الأكثر من **مثل نظمه ورصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خصّ به القرآن**، وبه وقع الإعجاز على قول حذاق أهل النظر.

وقال بعضهم: مِنْ مِثْلِهِ في غيوبه وصدقه وقدمه، فالتحدي عند هؤلاء وقع بالقدم، والأول أبين[٣٨].

وقال الرازي(ت: ٦٠٦)- رحمه الله- :" أن الله تعالى أمر محمدا بأن يتحدى بكل سورة من القرآن فقال: (فأتوا بسورة من مثله) [البقرة: ٢٣] وأقصر السور سورة الكوثر وهي ثلاث آيات، وكان الله تحداهم بكل ثلاثة آيات من القرآن، ولما كان كل القرآن ستة آلاف آية، وكذا آية، لزم أن لا يكون معجز القرآن معجزًا واحدًا بل يكون ألفي معجزة وأزيد"[٣٩].

---

(٣٦) التفسير الوسيط للواحدي: ١/ ١٠٢.

(٣٧) تفسير الزمخشري:١/ ٩٨.

(٣٨) المحرر الوجيز لابن عطية : ١/ ١٠٦.

(٣٩) تفسير الرازي: ٦/ ٥٢٢.

وقال الطِيْبي–رحمه الله– في «حاشية الكشاف» عند قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال:١٧]، «ولسر النظم القرآني؛ كان التحدي بالسورة؛ وإن كانت قصيرة دون الآيات وإن كانت ذوات عدد»[٤٠].

وقال الشيخ رشيد رضا (ت: ١٣٥٤)–رحمه الله– :" وإن عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله **تساوي سورة في هدايتها، وتضارعها في أسلوبها وبلاغتها**؛ وأنتم فرسان البلاغة، وعصركم أرقى عصور الفصاحة، وقد اشتهر كثيرون منكم بالسبق في هذا الميدان ولم يكن محمد – ﷺ – ممن يسابقكم من قبل هذا البرهان؛ لأنه لم يؤت هذا الاستعداد بنفسه، ولم يتمرن عليه أو يتكلفه لمباراة أهله – فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعين سنة فأعجزكم بعد سبقكم لم يكن إلا بوحي إلهي، وإمداد سماوي، لم يسم عقله إلى علمه، ولا بيانه إلى أسلوبه ونظمه[٤١].

وقال ابن عاشور(ت: ١٣٩٣)–رحمه الله– "وإنما كان التحدي بسورة ولم يكن بمقدار سورة من آيات القرآن؛ لأن من جملة وجوه الإعجاز أمورًا **لا تظهر خصائصها إلا بالنظر إلى كلام مستوفى في غرض من الأغراض**؛ وإنما تنزل سور القرآن في أغراض مقصودة فلا غنى عن مراعاة الخصوصيات المناسبة لفواتح الكلام وخواتمه بحسب الغرض، واستيفاء الغرض المسوق له الكلام، وصحة التقسيم، ونكت الإجمال والتفصيل، وأحكام الانتقال من فن إلى آخر من فنون الغرض، ومناسبات الاستطراد والاعتراض والخروج والرجوع، وفصل الجمل ووصلها، والإيجاز والإطناب، ونحو ذلك مما يرجع إلى نكت مجموع نظم الكلام، **وتلك لا تظهر مطابقتها جلية إلا إذا تم الكلام واستوفى الغرض حقه**، فلا جرم كان لنظم القرآن وحسن سبكه إعجاز يفوت قدرة البشر هو غير الإعجاز الذي لجمله وتراكيبه وفصاحة ألفاظه؛ فكانت السورة من القرآن بمنزلة خطبة الخطيب وقصيدة الشاعر لا يحكم لها بالتفوق إلا باعتبارات مجموعها بعد اعتبار أجزائها.

والتنكير للإفراد أو النوعية، أي بسورة واحدة من نوع السور؛ وذلك صادق بأقل سورة ترجمت باسم يخصها، وأقل السور عدد آيات سورة الكوثر"[٤٢].

---

(٤٠) حاشية الطيبي على الكشاف: ٧/ ٥٤.

(٤١) تفسير المنار: ١/ ١٥٩.

(٤٢) التحرير والتنوير : ١/ ٣٣٧.

وقال في موضع آخر:" وإنما وقع التحدي بسورة أي وإن كانت قصيرة دون أن يتحداهم بعدد من الآيات؛ لأن من أفانين البلاغة ما مرجعه إلى مجموع نظم الكلام وصوغه بسبب الغرض الذي سيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه، وانتقال الأغراض، والرجوع إلى الغرض، وفنون الفصل، والإيجاز والإطناب، والاستطراد والاعتراض"[٤٣].

وبهذا يتبين أن كل سورة من سور القرآن معجزة بنفسها؛ لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها.

والذي يدعو إلى التأمل أن التحدي بالسورة جاء في البقرة ويونس، وجاء بعد إقامة البرهان على إثبات التوحيد وإبطال الشرك؛ فالواجب بعد ذلك إقامة البرهان على إثبات نبوة الرسول ﷺ، ولا تثبت النبوة إلا بإظهار المعجزة، وهي التحدي بسورة فذة من هذا الكتاب الكريم؛ ولهذا حد المحققون القرآن بأنه: **(هو الكلام المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه)**[٤٤].

وبهذا يتضح أن التحدي وقع بنظم القرآن وما يتصل به من البلاغة والبيان؛ وهذا يظهر جلياً بالنظر إلى كلام مستوفى في غرض من الأغراض؛ وهذا لا يتحقق إلا بالتأمل والتدبر في نظم السورة ومعرفة ما يتصل بها من البلاغة والبيان، وما استخدمته السورة من أفنان.

---

[٤٣] التحرير والتنوير : ١/ ١٠٤.

[٤٤] انظر: حاشية الطيبي على الكشاف: ٨/ ٣٠. بتصرف يسير.

## المبحث الأول
## سورة الأنفال دراسة تطبيقية

هذه السورة نزلت في غزوة بدر، وفي التعقيب عليها؛ نزلت لتبين للمؤمنين طرفًا من منهج القرآن في تربية الفئة المؤمنة الأولى، وإعدادها لقيادة البشرية، لقد أراد الله سبحانه أن تكون هذه الغزوة فرقانًا بين الحق والباطل، وأراد أن يظهر فيها الآماد البعيدة بين تدبير البشر لأنفسهم فيما يحسبونه الخير لهم، وتدبير رب البشر لهم ولو كرهوه في أول الأمر، كما أراد أن تتعلم العصبة المؤمنة عوامل النصر وعوامل الهزيمة وتتلقاها مباشرة من ربّها ووليها، وهي في ميدان المعركة وأمام مشاهدها[٤٥].

**المطلب الأول: بين يدي السورة:**

**١) أسماء السورة :**

سورة الأنفال، والجهاد، وبدر.

**٢) سبب النزول:**

عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم "بدر" قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكيفة، فأتيت به النبي – ﷺ – قال: "اذهب فاطرحه في القبض"، قال: فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا قريبا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله – ﷺ – "فخذ سيفك"[٤٦].

وتسميتها سورة الأنفال من أنها افتتحت بآية فيها اسم الأنفال، ومن أجل أنها ذكر فيها حكم الأنفال.

وقد اتفق رجال الأثر كلهم على أنها نزلت في غزوة بدر: قال ابن إسحاق أنزلت في أمر بدر سورة الأنفال بأسرها.

وقت نزولها : ثانية السور بالمدينة نزولًا بعد سورة البقرة[٤٧].

---

( ٤٥) في ظلال القرآن : ٣/ ١٤٦٨. بتصرف.

٤٦ أخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٤٨/١٨ – ح: ٢٨٢)، وابن جرير (١١٧/٩).

٤٧ انظر: التحرير والتنوير : ٣/ ٢٤٧.

ونزولها بسبب اختلاف أهل بدر في غنائم يوم بدر وأنفاله.

**٣) مدنية كلها.**

**٤) أغراض هذه السورة:**

ابتدأت ببيان أحكام الأنفال وهي الغنائم وقسمتها ومصارفها، والأمر بتقوى الله في ذلك وغيره، والأمر بطاعة الله ورسوله، في أمر الغنائم وغيرها، وأمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم، وأن ذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل، وذكر الخروج إلى غزوة بدر وبخوفهم من قوة عددهم وما لقوا فيها من نصر وتأييد من الله ولطفه بهم، وامتنان الله عليهم بأن جعلهم أقوياء، ووعدهم بالنصر؛ إن اتقوا بالثبات للعدو، والصبر، والأمر بالاستعداد لحرب الأعداء، والأمر باجتماع الكلمة والنهي عن التنازع، والأمر بأن يكون قصد النصرة للدين نصب أعينهم، ووصف السبب الذي أخرج المسلمين إلى بدر، وذكر مواقع الجيشين، وصفات ما جرى من القتال، وتذكير النبي ﷺ بنعمة الله عليه إذ أنجاه من مكر المشركين به بمكة وخلصه من عنادهم، وأن مقامه بمكة كان أمانا لأهلها فلما فارقهم فقد حق عليهم عذاب الدنيا بما اقترفوا من الصد عن المسجد الحرام، ودعوة المشركين للانتهاء عن مناوأة الإسلام وإيذانهم بالقتال، والتحذير من المنافقين، وضرب المثل بالأمم الماضية التي عاندت رسل الله ولم يشكروا نعمة لله، وأحكام العهد بين المسلمين والكفار وما يترتب على نقضهم العهد، ومتى يحسن السلم، وأحكام الأسرى، وأحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة. وولايتهم وما يترتب على تلك الولاية[٤٨].

**٥) مقصد السورة:**

عنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: ... سُورَةُ الأَنْفَالِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ»[٤٩].

---

٤٨ ( ) التحرير والتنوير : ٣/ ٢٤٧.

٤٩ ( ) صحيح البخاري: كتاب: التفسير: باب: سورة الحشر : (٤٨٨٢)، وأخرجه مسلم في التفسير باب في سورة براءة والأنفال والحشر رقم ٣٠٣١

قال البقاعي – رحمه الله – **ومقصد هذه السورة**؛ تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأمر الله المثمر لاجتماع الكلمة، المثمر لنصر الدين وإذلال المفسدين، المنتج لكل خير[٥٠].

**ومن مقاصد هذه السورة** : "بيان أحكام الجهاد وعوامل النصر والهزيمة من خلال غزوة بدر"[٥١]. وهذا المقصد هو المقصود في هذا البحث.

## المطلب الثاني

## المناسبات في سورة الأنفال

**١) مناسبتها لسورة الأعراف:**

لما ذكر تعالى قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم في الأعراف؛ ناسب أن يذكر قصة هذا النبي الكريم صلى عليه وسلم مع قومه.

ولما أطنب سبحانه في قصة موسى عليه السلام كان ذلك ربما أوهم تفضيله على الجميع، فأتى بقصة المخاطب بهذا القرآن في سورتين كاملتين، الأنفال في أول أمره وأثنائه، وبراءة في ختام أمره وانتهائه، وفرق بين القصتين، وذلك أن قوم موسى عليه السلام كانوا في سوء العذاب، وكانوا يعلمون عن اسلافهم أن الله سيذكرهم وينجيهم من أيدي القبط، فلما أتاهم موسى عليه السلام وبين لهم الآيات التي أمره الله بها لم يشكوا في انه الموعود به من رحمة الله لهم، وإتيانه نفع لهم عاجل مع ما فيه من النفع الآجل، فأطبقوا على أتباعه، وكانوا أكثر من ستمائة الف مقاتل، ومع ذلك فقد كانوا يخالفون عليه في كل قليل، ولا يجدون قلوباً يواجهون بها القبط في الإباء عن امتثال أوامرهم، وأما محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فأتى قومه ولا حس عندهم من نبوة ولا علم لهم بها، ولم يكونوا تحت ذل أحد، بل كانوا ملوك العرب، فعندهم أنه جاء يسلبهم عزهم ويصيرهم له تبعاً فخالفوا اشد المخالفة ولم يدعوا كيداً حتى باشروه في رده عما جاء به، ومع ذلك فنصره الله عليهم ولم يزل يؤيده حتى دخل الناس هم وغيرهم في دين الله افواجاً، واظهر دينه على الدين كله كما وعده سبحانه، ثم أيد أمره من بعده ولم يزل اتباعه ظاهرين ولا يزالون إلى يوم الدين؛ فبين القصتين فرقان لأولى الإبصار والإتقان[٥٢].

---

(٥٠) نظم الدرر للبقاعي: ٨/ ٢١٤.

(٥١) انظر : في ظلال القرآن: ٣/ ١٤٦٨، والمختصر في تفسير القرآن الكريم: ١٧٧.

٥٢ نظم الدرر للبقاعي: ٨/ ٢١٧.

**٢) مناسبة افتتاحها لخاتمتها:**

**افتتحت** بقوله: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، **واختتمت** بقوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[٥٣].

**٣) مناسبة أولها لآخر سورة الأعراف:**

فقد تبين أن آخر الأعراف آخر قصة موسى عليه السلام المختتمة بقصة بلعام وأن ما بعد ذلك إنما هو تتمات لما تقدم لا بد منها وتتمات للتتمات حتى كان آخر ذلك مدح من أهلهم لعنديته سبحانه بالإذعان وتمام الخضوع، فلما أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية، اقتضى ذلك سؤالاً عن حال الذين عند المخاطب (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فأجيب بقوله تعالى: {يسألونك} أي الذين عند ربك هم الذين هزموا الكفار في الحقيقة؛ فهم المستحقون للأنفال وليس لهم إليها التفات؛ وإنما همهم العبادة، والذين عندك إنما جعلتهم آلة ظاهرة ومع ذلك فهم يسألون {عن الأنفال} التي توليتهم إياها بأيدي جنودي سؤال منازعة ينبغي الاستعاذة بالله منها – كما نبه عليه آخر الأعراف –؛ لأن ذلك يفضي إلى افتراق الكلمة والضعف عن مقاومة الأعداء[٥٤].

**٤) مناسبة أسماء السورة لمقصدها:**

**الأنفال؛** لأن الأنفال مما ينفله المجاهد في سبيل الله.

**بدر**؛ لأن هذه الغزوة أول غزوة فتحت باب الجهاد في المجتمع المسلم.

**الجهاد:** وما جاهد المسلمون قوم إلا أكثَرَ منهم، وسنت قراءتها في الجهاد؛ لتنشيط المؤمنين للجلاد، وإن كثرت من الأعادي الجموع والأعداد، وتوالت إليهم زمر الأمداد من سائر العباد[٥٥].

---

[٥٣] مراصد المطالع والمقاطع للسيوطي: ٥٢

[٥٤] نظم الدرر للبقاعي: ٨/ ٢١٧.

([٥٥]) نظم الدرر للبقاعي: ٨/ ٢١٥.

## المبحث الثالث

## التناسب والتناسق بين أفانين السورة

كل سورة لها أسلوبها الخاص في معالجة مقصدها، يقول البقاعي–رحمه الله–: "إن من عرف المراد من اسم السورة؛ عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها؛ عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها"[٥٦].

ويقول: " كل سورة لها مقصد معين، تكون جميع جمل تلك السورة دليلًا على ذلك المقصد"[٥٧].

ويقول سيد قطب –رحمه الله– : "لكل سورة من سور القرآن شخصيتها الخاصة، وملامحها المميزة، ومحورها الذي تشد إليه موضوعاتها جميعًا.. ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أن تتجمع الموضوعات في كل سورة وتتناسق حول محورها في نظام خاص بها، تبرز فيه ملامحها، وتتميز به شخصيتها. كالكائن الحي المميز السمات والملامح، وهو –مع هذا– واحد من جنسه على العموم! ونحن نرى في هذه السورة – نكاد نُحس– أنها كائن حي، يستهدف غرضًا معينًا، ويجهد له، ويتوخَّى تحقيقه بشتى الوسائل، والفقرات والآيات والكلمات في السورة، هي الوسائل التي تبلغ بها ما تريد!"[٥٨].

### المطلب الأول

### مناسبة الأحكام في السورة لمقصدها

في هذه السورة جاءت الأحكام؛ لتقرر معنى الجهاد في نفوس المؤمنين بصورة لم تذكر في سورة غيرها؛ لأن المناسبة الموضوعية هي التي تُحَدِد أنواع الأحكام وقدرها التي تعرض في كل سورة تُذْكر فيها.

**تعريف الأحكام الشرعية:**

**١) الحكم في اللغة:**

---

[٥٦] مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ١/ ١٤٩.

[٥٧] المرجع السابق.

[٥٨] في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/ ٥٥٥.

**حَكَمَ:** الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو الْمَنْعُ. وأول ذلك الْحُكْمُ ، وهو المنع من الظلم[٥٩].

**حَكَمَ:** أصله: منع منعًا لإصلاح، والحُكْم بالشيء: أن تقضي بأنّه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيره أو لم تلزمه[٦٠].

**والحُكْمُ:** العِلْمُ وَالْفِقْهُ وَالْقَضَاءُ بِالْعَدْلِ [٦١].

وبالتأمل فيما ورد في كتب اللغة عن **(الحكم)**؛ نجد أنه يأتي بمعان( المنع لإصلاح، العلم، الفقه، القضاء بالعدل).

**٢) تعريف الحكم الشرعي عند الأصوليين :**

خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[٦٢].

**٣) أما تعريف الحكم الشرعي عند الفقهاء:** ما ثبت بخطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على وجه الاقتضاء أو التخيير أو الوضع[٦٣].

**الحكم الأول**

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١].

١) **النفل:** هو الزيادة في اللغة، على القدر المستحق، ومنه النوافل.

---

٥٩
( ) مقاييس اللغة : ٢/ ٩١.

٦٠
( ) المفردات في غريب القرآن : ٢٤٨

٦١
( ) لسان العرب : ١٢/ ١٤٠

٦٢
( ) غاية السول إلى علم الأصول : ٤٨

٦٣
( ) الزلمي مصطفى إبراهيم، أصول الفقه الإسلامي في نسيجه الجديد، بغداد، ١٤١٢هـ/١٩٩١م،( ٩/٢).

والنفل يكون من الإمام للسرايا التي تتقدم الجيش الأعظم، مثل أن يقول للسريّة: لكم الربع بعد الخمس، أو يقول: من أصاب سهمًا فهو له، على وجه الحث على القتال والتضرية على العدو، أو يقول: من قتل قتيلًا فله سلبه.

فأما بعد إحراز الغنيمة، فلا يجوز له أن ينفل شيئًا من نصيب الجيش، ويجوز له أن ينفل من الخمس[٦٤].

قال ابن العربي المالكي– رحمه الله– :" قال علماؤنا: النفل على قسمين: جائز ومكروه:

**فالجائز**: بعد القتال، كما قال النبي – ﷺ – يوم حنين: «من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه»[٦٥].

**والمكروه**: أن يقال قبل القتل: " من فعل كذا وكذا فله كذا ". وإنما كره هذا؛ لأنه يكون القتال فيه للغنيمة.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[٦٦].

ويحق للرجل أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ وإن نوى في ذلك الغنيمة؛ وإنما المكروه في الحديث أن يكون مقصده المغنم خاصة[٦٧].

**مناسبة الحكم لمقصد السورة:**

ومناسبة هذا الحكم لمقصد السورة، أن الأنفال من ثمرات الجهاد في سبيل الله؛ وقد أحلها لهذه الأمة مما كان محرمًا على غيرها، روى البخاري بسنده عن جَابِرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ»[٦٨].

---

٦٤
( ) انظر: أحكام القرآن للكيا الهراس: ٣/ ١٤٩

٦٥
( ) صحيح البخاري: بَابُ مَنْ لَمْ يُخَمِّسِ الأَسْلاَبَ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمِّسَ، وَحُكْمِ الإِمَامِ فِيهِ،( ٣١٤٢).

(٦٦) صحيح البخاري: بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا،( ٢٨١٠).

٦٧
( ) أحكام القرآن لابن العربي: ٢/ ٣٨١.

## الحكم الثاني

## الفرار من الزحف والتَحَيُّز إلى فئة

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنفال:١٦].

**الآية تدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر**[٦٩].

**ومفهوم الآية:** أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى؛ ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك؛ لأنه لم يول دبره فارًا، وإنما ولى دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين.

**التحيز إلى فئة:**

**والمتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز،** فإن كانت الفئة في العسكر؛ فالأمر في هذا واضح، وإن كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز، ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم.

أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم؛ فيبعد – في هذه الحال –أن تكون من الأحوال المرخص فيها؛ لأنه – على هذا – لا يتصور الفرار المنهي عنه، وهذه الآية مطلقة[٧٠].

ويدخل في معنى التحيز إلى الفئة الرجوع إلى مقر أمير الجيش للاستنجاد بفئة أخرى، وكذلك القفول إلى مقر أمير المصر الذي وجه الجيش للاستمداد بجيش آخر إذا رأى

---

٦٨
( ) صحيح البخاري : بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُحِلَّتْ لَكُمُ الغَنَائِمُ»،(٣١٢٢).

٦٩
( ) انظر: تفسير السعدي: ٣١٧

٧٠
( ) المرجع السابق.

أمير الجيش ذلك من المصلحة كما فعل المسلمون في فتح إفريقية وغيره في زمن الخلفاء، ولما انهزم أبو عبيد بن مسعود الثقفي يوم الجسر بالقادسية، وقتل هو ومن معه من المسلمين، قال عمر بن الخطاب: هلا تحيز إلي فأنا فئته [٧١].

وفي هذا تدريب للمسلمين على الشجاعة والإقدام والثبات عند اللقاء... وهو شرع شرعه الله على المسلمين بسبب تلك الغزوة لتوقع حدوث غزوات يكون جيش المسلمين فيها قليلًا كما كان يوم بدر، فنهاهم الله عن التقهقر؛ إذا لاقوا العدو [٧٢].

وإنما حرَّم الله الفرار في وقت مناجزة المشركين ومجالدتهم وهو وقت اللقاء؛ لأن الفرار حينئذ يوقع في الهزيمة الشنيعة والتقتيل، وذلك أن الله أوجب على المسلمين قتال المشركين فإذا أقدم المسلمون على القتال لم يكن نصرهم إلا بصبرهم وتأييد الله إياهم، فلو انكشفوا بالفرار لأعمل المشركون الرماح في ظهورهم فاستأصلوهم، فلذلك أمرهم الله ورسوله بالصبر والثبات[٧٣].

**مناسبة لمقصد السورة:**

أن يوم بدر كان افتتاح الجهاد لهذه الأمة؛ فلم يجز الله سبحانه وتعالى للصحابة أن يفروا عن رسول الله، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا يسلموه لأعدائه حتى لا يبقى منهم على الأرض عين تطرف.

## الحكم الثالث

## الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ ﴾[الأنفال:٣٩].

---

٧١ ( ) التحرير والتنوير : ٩/ ٢٩١.

٧٢ ( ) المرجع السابق : ٩/ ٢٨٦- ٢٨٧.

٧٣ ( ) المرجع السابق: ٩/ ٢٩٢.

**المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين**؛ أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان[٧٤].

**مناسبة الحكم لمقصد السورة:**

هذا الحكم بَيَّن مقصد الجهاد – الذي هو مقصد السورة– وهو أن تكون كلمة الله هي العليا.

## الحكم الرابع

## أحكام الغنائم

قال تعالى: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ [الأنفال: ٤١].

**الغنيمة:** ما أخذ من أموال الكفار بقتال[٧٥].

{فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} أي: وباقيه لكم أيها الغانمون، لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خمسها. فدل على أن الباقي لهم، يقسم على ما قسمه رسول الله ﷺ: للراجل سهم، وللفارس سهمان لفرسه، وسهم له.

وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم، **سهم لله ولرسوله**، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة؛ لأن الله جعله له ولرسوله، والله ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله. فإذا لم يعين الله له مصرفًا، دل على أن مصرفه للمصالح العامة.

**والخمس الثاني: لذي القربى**، وهم قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب. وأضافه الله إلى القرابة دليلًا على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

---

٧٤ ( ) تفسير السعدي: ٣٢١.

٧٥ ( ) أحكام القرآن لابن العربي: ٢/ ٣٧٧.

**والخمس الثالث لليتامى**، وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار، جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، وقد فقد من يقوم بمصالحهم.

**والخمس الرابع للمساكين**، أي: المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث.

**والخمس الخامس لابن السبيل**، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده.

وبعض المفسرين يقول إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء **بل ذلك تبع للمصلحة وهذا هو الأولى** [٧٦].

**مناسبة الحكم لمقصد السورة:**

أن الغنائم التي غنمها المسلمون في غزوة بدر؛ نتيجة جهادهم للمشركين وأخذها قهراً بقتال.

## الحكم الخامس

## الثبات والإكثار من ذكر الله

قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)**.

ذكرت هذه الآية أعظم أسباب النصر وهي: الثبات والإكثار من ذكر الله، "وقد أمر الله هاهنا بالثبات عند قتالهم، كما نهى في الآية قبلها عن الفرار عنهم؛ فالتقى الأمر والنهي على شفا من الحكم بالوقوف للعدو والتجلد له"[٧٧].

قوله: {واذكروا الله} اثبتوا بقلوبكم واذكروه بألسنتكم؛ فإن القلب قد يسكن عند اللقاء، ويضطرب اللسان؛ فأمر بذكر الله حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر [٧٨].

**مناسبة الحكم لمقصد السورة:**

---

٧٦
( ) تفسير السعدي: ٣٢١.

٧٧
( ) أحكام القرآن لابن العربي: ٢/ ٤١٣.

٧٨
( ) أحكام القرآن لابن العربي: ٢/ ٤١٤.

الثبات وذكر الله كثيراً من أسباب النصر في مواطن جهاد الكفار.

## الحكم السادس

## النهي عن التنازع المؤدي إلى الفشل

**قال تعالى :(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧).**

قوله: {وأطيعوا الله ورسوله} [الأنفال: ٤٦] وهذه الوصية هي العمدة التي يكون معها النصر، ويظهر بها الحق، ويسلم معها القلب، وتستمر معها على الاستقامة الجوارح؛ وذلك بأن يكون عمل المرء كله بالطاعة في امتثال الأمر واجتناب النهي، فإنما يقاتل المسلمون بأعمالهم لا بأعدادهم، وباعتقادهم لا بأمدادهم؛ ولذلك قال – ﷺ –: «إنما تنصرون بضعفائكم»[٧٩]، إشارة إلى أن الطاقة في الطاعة، والمنة في الهداية[٨٠].

وقوله تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) نهى عن الاختلاف المؤدي إلى الفشل وجرأة العدو[٨١].

**مناسبة الحكم لمقصد السورة:**

جمع الله سبحانه للمؤمنين المجاهدين في سبيله في هذه الآية ما به قوام النصر في الحروب.

## الحكم السابع

## التنكيل بالأسرى

**قال تعالى :(فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)**

---

٧٩

( ) سنن أبي داوود : باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة،( ٢٥٩٤)، قال الألباني : صحيح، ولفظ الحديث: عن جبير بن نفير الحضرمي، أنه سمع أبا الدرداء، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ابغوني الضعفاء، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم».

٨٠

( ) أحكام القرآن لابن العربي: ٢/ ٤١٨.

٨١

( ) أحكام القرآن للكيا الهراس: ٣/ ١٦٢.

**قوله:( تَثْقَفَنَّهُمْ)** يعني تصادفهم وتلقاهم...أي افعل بهم فعلًا من العقوبة؛ يتفرق بهم من وراءهم[٨٢]؛ فأبان أن المقصود من التنكيل بالأسر، زجر من سواهم، ولأجله شرعت العقوبات، ولأجله أمر الصديق بالتنكيل بأهل الردة، وإحراق بعضهم بالنيران، ورمي بعضهم من رؤوس الجبال، وطرحهم في الآبار[٨٣].

**مناسبة الحكم لمقصد السورة:**

من مقاصد الجهاد التنكيل بالأسرى؛ ليكون عبرة لمن خلفهم، ورعباً لمن وراءهم.

٨٢
( ) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/ ٤١٩.

٨٣
( ) أحكام القرآن للكيا الهراس: ٣/ ١٦٢.

## الحكم الثامن

## نبذ العهد لمن يتوقع منه الخيانة

**قال تعالى :(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨).**

**الخيانة:** مخالفة الحقّ بنقض العهد في السّرّ[٨٤].

**النَّبْذُ:** إلقاء الشيء وطرحه لقلّة الاعتداد به[٨٥].

**الحكم:**

أباح الله لرسوله إذا توقع من أعدائه غائلة من مكر؛ أن ينبذ إليهم على سواء، حتى لا يقول المبطل: إنك نقضت العهد بنصب الحرب[٨٦].

**مناسبة الحكم لمقصد السورة:**

من أخلاق المجاهدين في سبيل الله : نبذ العهد لمن خيف منه الخيانة، وعدم مباغتته بالحرب.

## الحكم التاسع

**قال تعالى :(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠).**

**الإعداد:** هو الأمر بالاستعداد للعدو، وبإعداد الكراع والسلاح قبل وقت القتال إرهابًا للعدو، والتقدم في ارتباط الخيل استعدادًا لقتال المشركين، ومنه أخذ إعداد الأموال والخزائن لحاجة المسلمين إليها يوم القتال[٨٧].

**مناسبة الحكم لمقصد السورة:**

---

(٨٤) مفردات غريب القرآن للأصفهاني: ٣٠٥.

(٨٥) المرجع السابق: ٧٨٨.

٨٦

( ) أحكام القرآن للكيا الهراس: ٣/ ١٦٢.

٨٧

( ) أحكام القرآن للكيا الهراس: ٣/ ١٦٣.

من مقاصد الجهاد إرهاب العدو بإعداد العُدة قدر الاستطاعة، وأخذ الأهبة قبل المباغتة.

## الحكم العاشر

## الصلح مع العدو

**قوله تعالى: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم} [الأنفال: ٦١].**

**السلم:** بفتح السين وكسرها وإسكان اللام، وبفتح السين واللام، وبزيادة الألف أيضًا: هو الصلح[٨٨].

**الإجابة للصلح تختلف باختلاف حال المسلمين:**

١-فإذا كان المسلمون على عزة، وفي قوة ومنعة، ومقانب عديدة، وعدة شديدة: فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا، وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم.

٢- وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لانتفاع يجلب به، أو ضر يندفع بسببه فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه، وأن يجيبوا إذا دعوا إليه، وقد صالح النبي - ﷺ - أهل خيبر على شروط نقضوها، فنقض صلحهم، وقد وادع الضمري، وقد صالح أكيدر دومة، وأهل نجران، وقد هادن قريشًا لعشرة أعوام حتى نقضوا عهده[٨٩].

## الحكم الحادي عشر

**قال تعالى :(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧).**

**ثخن:**

يقال ثَخُنَ الشيء فهو ثَخِين: إذا غلظ فلم يسل، ولم يستمر في ذهابه، ومنه استعير قولهم: أَثْخَنْتُهُ ضربًا واستخفافًا[٩٠].

---

٨٨
( ) أحكام القرآن لابن العربي : ٢/ ٤٢٦.

٨٩
( ) آيات الأحكام لابن العربي : ٢/ ٤٢٧.

(٩٠) مفردات غريب القرآن للأصفهاني: ١٧٢.

**الحكم:**

**في الآية دلالة:** على أن العدول عن القتل إلى الأسر؛ حرام على كل نبي، حتى يكثر القتل منه؛ فتحصل هيبته في القلوب، وتمتلئ النفوس منه رعبًا، فإذا أثخن في الأرض بالإكثار من القتل، يجوز أن يكون له أسرى، فدل من هذا الوجه، أن الجهاد من تكليف سائر الأنبياء، فلذلك عمهم تعالى به[٩١].

قال ابن العربي – رحمه الله– كان الجهاد واجبًا على أنبياء قبل محمدﷺ، لم يكن لهم أسرى ولا غنيمة[٩٢].

**مناسبة الحكم لمقصد السورة:**

بالإكثار من القتل؛ يتحقق هيبة المؤمنين المجاهدين في القلوب، وتمتلئ نفوس أعدائهم منهم رعبًا.

**التناسق بين الأحكام :**

اشتملت هذه السورة والتي مقصدها الجهاد على أحكام الجهاد قبل المعركة، وأثناء المعركة، وبعد المعركة:

**أولاً: قبل المعركة : (الإعداد والتهيئة):**

١) **إعداد القوة من العدد والعُدة**؛ ليتحقق لها هيبة المؤمنين في قلوب الكافرين، وامتلاء النفوس منهم رعباً.

٢) **التذكير الدائم بمقاصد الجهاد** وهو إعلاء كلمة الله، وإزالة الحواجز من أمام الناس؛ ليختاروا عقيدتهم.

٣) **نبذ العهد مع من خيف منه الخيانة.**

**ثانياً: أثناء المعركة: (مقومات النصر):**

١) **طاعة الله ورسوله**؛ لأنها العمدة في تحقيق النصر.

٢) **الثبات في المعركة أمام العدو.**

---

٩١ ( ) أحكام القرآن للكيا الهراس: ٣/ ١٦٥.

٩٢ ( ) آيات الأحكام لابن العربي : ٢/ ٤٣٣.

٣) **الإكثار من ذكر الله؛** لأنه يحق الاطمئنان في القلب ويعين على ثبات الجوارح.
٤) **النهي عن الفرار من الزحف؛** حتى لا يحدث التقتيل الشنيع في المؤمنين المجاهدين.
٥) **جواز التحيز إلى فئة؛** ليكون أمكن في القتال، وأنكى للعدو.
٦) **النهي عن التنازع؛** لأنه يؤدي إلى الفشل وجرأة العدو.

**ثالثاً: بعد المعركة:( نتائج المعركة):**

١) توزيع الغنائم، للمجاهد سهم، وللفارس سهمين( سهم له وسهم لفرسه).
٢) حكم الأسرى فيما يراه الإمام؛ لتحقيق المصلحة العليا للأمة.
٣) حكم الصلح مع العدو.

وبهذه الأحكام انتظمت أحكام الجهاد على نسق واحد قبل وأثناء وبعد المعركة في سورة الجهاد، ولم تجتمع هذه الأحكام بهذه الصورة في سورة أخرى؛ فحق أن تكون سورة الجهاد.

## المطلب الثاني

## مناسبة القصص في السورة لمقصدها

الله سبحانه وتعالى يعبر لنا في كل سورة تُذْكَر القصة فيها بما يناسب ذلك المقام في الألفاظ عما يليق من المعاني، ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام؛ فيذكر سبحانه وتعالى في كل سورة ما هو الأليق والأولى بمخصوص منزلها.

فالمناسبة الموضوعية هي التي تُحَدِد القدر الذي يُعْرض من القصة في كل سورة تُذْكر فيها؛ بما يحقق عبرًا جمة وفوائد للأمة.

**القصة الأولى: قصة غزوة بدر.**

هذه السورة نزلت في غزوة بدر، والتي كانت فاتحة طريق الجهاد أمام الأمة الإسلامية؛ لإقرار وحدانية الله في الأرض، وإزالة الطواغيت من أمام الناس؛ لتتحقق لهم الحرية في الاختيار.

"وغزوة بدر – بملابساتها وبما ترتب عليها في تاريخ الحركة الإسلامية وفي التاريخ البشري جملة – تقوم معلمًا ضخمًا في طريق تلك الحركة وفي طريق هذا التاريخ؛ وقد سمى الله – سبحانه – يومها «يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» .. كما أنه جعلها مفرق الطريق بين الناس في الآخرة كذلك لا في هذه الأرض وحدها ولا في التاريخ البشري

على هذه الأرض في الحياة الدنيا وحدها؛ فقال سبحانه : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ ﴾ **[الحج:١٩- ٢٤]**، وقد ورد أن هذه الآيات نزلت في الفريقين اللذين التقيا يوم بدر .. يوم الفرقان .. لا في الدنيا وحدها، ولا في التاريخ البشري على الأرض وحدها؛ ولكن كذلك في الآخرة وفي الأبد الطويل .. وتكفي هذه الشهادة من الجليل – سبحانه – لتصوير ذلك اليوم وتقديره"[٩٣].

**قصة آل فرعون.**

ذكر الله سبحانه في هذه السورة حلقة من حلقات قصة فرعون بما يتناسب مع موضوع السورة ومقصدها؛ لأن فرعون ادعى الألوهية بقوله:﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ٣٨ ﴾[القصص:٣٨]، ومن مقاصد هذه السورة بيان مقاصد الجهاد والتي منها إعلان شهادة أن لا إله إلا الله؛ فبين الله في هذه السورة كيف انتقم الله ممن ادعى الألوهية ليكون عظة وعبرة لمن بعده، وليكون أيضاً عبرة للمؤمنين بأن الله انتقم ممن ادعى الألوهية بجند من جنده وهو البحر ولم يكن بأيدي المؤمنين؛ ليعلمهم أنه انتصر في بدر بجنود من جنوده؛ فلا تغتروا بما حقق على أيديكم من نصر.

قال تعالى: ﴿كَدَأۡبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ **كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ** فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال:٥٢]، وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾[الأنفال:٥٤].

---

٩٣ ( ) في ظلال القرآن : ٣/ ١٤٣١.

لما بين سبحانه ما أنزله بأهل بدر من الكفار عاجلًا وآجلًا؛ أتبعه بأن بين أن هذه طريقته وسنته في الكل؛ فقال: كدأب آل فرعون، والمعنى: عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم؛ فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي أولئك بالإغراق[٩٤].

**وسبب ذكر قوم فرعون؛** لأن قوم فرعون والذين من قبلهم شاركوا المشركين في الكفر بالله وتكذيب رسله، وفي جحد دلالة الآيات على الوحدانية وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فَذُكِروا هنا ابتداء بالأفظع من الأمرين فعبر بالكفر بالآيات عن جحد الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى؛ لأن الكفر أصرح في إنكار صفات الله تعالى. وقد عقبت هذه الآية بالتي بعدها، فذكر في التي بعدها التكذيب بالآيات، أي التكذيب بآيات صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، وجحد الآيات الدالة على صدقه [٩٥].

**المقصود من ذكر هذين الوصفين:** الإيماء إلى أن أخذهم كان قويًا شديدًا؛ لأنه عقاب قوي شديد العقاب.

هؤلاء الذين أشار إليهم كان هلاكهم بغير قتال، بل بعضهم بالريح وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالغرق وبعضهم بالخسف الذي هو غرق في الجامد، فكأنه يقول: لا ينسب أحد لنفسه فعلاً، فإنه لا فرق عندي في إهلاك أعدائي بين أن يكون إهلاكهم بتسليط من قتال أو غيره، الكل بفعلي، لولا أنا ما وقع؛ وذلك زاجر عظيم لمن افتخر بقتل من قتله الله على يده، أو نازع في النفل [٩٦].

**خص آل فرعون تذكيراً** – لأكثر من كان يقول {غرَّ هؤلاء دينهم} وهم – اليهود – بأنهم كانوا بالنسبة إلى فرعون وآله أضعف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة إلى قريش وأتباعهم، فإن اليهود مع قلتهم عددهم؛ كانوا قد دانوا لهم بذل العبيد لمواليهم بل أعظم، ومع ذلك فإنهم نصروا عليهم؛ لما كان الله معهم، وإعلاماً لهم بأنهم الآن كآل فرعون في

---

٩٤
( ) تفسير الرازي: ١٥/ ٤٩٥.

٩٥
( ) التحرير والتنوير : ١٠/ ٤٣.

٩٦
( ) نظم الدرر: ٨/ ٣٠٣.

العناد مع ما هم فيه من القلة والذلة، فقد جمعوا من كل قوم أخس صفاتهم وأردأ حالاتهم[٩٧].

**التناسق بين القصص:**

هاتان القصتان متناسقتان ومتحدتان في المقصد؛ من حيث أن النصر الذي حدث في غزوة بدر كان فرقاناً بين الحق والباطل، وكذلك كان انفراق البحر لموسى عليه السلام كان فرقاً نجا الله به موسى والمؤمنين معه، وأغرق به فرعون وقومه، وفي هذا المعنى روى الإمام الطبري عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب قال: سألته – يعني ابن زيد– عن قول الله عز وجل: (وإذ ءاتينا موسى الكتاب والفرقان) فقال: أما "الفرقان" الذي قال الله جل وعز: (يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) [الأنفال: ٤١]؛ فذلك يوم بدر، يوم فرق الله بين الحق والباطل، والقضاء الذي فرق به بين الحق والباطل. قال: فكذلك أعطى الله موسى الفرقان؛ فرق الله بينهم، وسلمَّه وأنجاه، فرق بينهم بالنصر، فكما جعل الله ذلك بين محمد ﷺ والمشركين؛ فكذلك جعله بين موسى وفرعون[٩٨].

وقال ابن عطية – رحمه الله – اختلف في الفرقان... فقالت فرقة: الْفُرْقانَ: سائر الآيات التي أوتي موسى ﷺ، لأنها فرقت بين الحق والباطل، وقال آخرون **الْفُرْقانَ:** النصر الذي فرق بين حالهم وحال آل فرعون بالنجاة والغرق، وقال ابن زيد–رحمه الله– : «**الفرقان:** انفراق البحر له حتى صار فرقًا» "[٩٩].

**من حكم اصطفاء لفظ الفرقان في هذا السياق:**

اختيار الفرقان هنا؛ لقصد شموله ما يصلح للمقام من معانيه، فقد فُسِّرَ بالنصر، وفُسِّرَ بالتمييز بينهم وبين الكفار في الأحوال التي يستحب فيها التمايز في أحوال الدنيا، فيشمل ذلك أحوال النفس: من الهداية، والمعرفة، والرضى، وانشراح القلب، وإزالة الحقد والغل والحسد بينهم، والمكر والخداع وذميم الخلائق.

---

٩٧
( ) نظم الدرر: ٨/ ٣٠٩.

٩٨
( ) تفسير الطبري: ٢/ ٧١.

٩٩
( ) المحرر الوجيز : ١/ ١٤٤.

وقد أشعر قوله: (لكم) أن الفرقان شيء نافع لهم؛ فالظاهر أن المراد منه كل ما فيه مخرج لهم ونجاة من التباس الأحوال وارتباك الأمور وانبهام المقاصد، فيؤول إلى استقامة أحوال الحياة، حتى يكونوا مطمئني البال منشرحي الخاطر، وذلك يستدعي أن يكونوا: منصورين، غالبين، بصراء بالأمور، كملة الأخلاق سائرين في طريق الحق والرشد، وذلك هو ملاك استقامة الأمم، فاختيار الفرقان هنا؛ لأنه اللفظ الذي لا يؤدي غيره مؤداه في هذا الغرض وذلك من تمام الفصاحة [١٠٠].

فتأمل كيف جمع الله في هذه السورة بين قصتين كانت كلاهما فرقاناً بين الحق والباطل، وبنتائجهما أعز الله المؤمنين المستضعفين.

وعادة القرآن أنه:" إذا ذكر موسى وكتابه عليه السلام وقومه وما حدث معه من عدوه، وما أنعم الله به عليه وعلى من آمن معه؛ ذكر محمدًا، وكتابه، وقومه، ومن آمن معه؛ ليبين لنا ويعلمنا ويرشدنا إلى سنته سبحانه في الرسل وأقوامهم، وأن سنته المطردة إنجاء الرسول ومن آمن معه، وإهلاك عدوهم، قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

## المطلب الثالث

## مناسبة السنن الإلهية في السورة لمقصدها

الله سبحانه وتعالى يذكر في كل سورة تُذْكَر فيها سنته التي لا تتبدل ولا تتغير في معاملة عباده بناء على أعمالهم؛ بما يناسب الأليق والأولى بمخصوص غرضها.

فالمناسبة الموضوعية هي التي تُحَدِد القدر الذي يُعْرض من هذه السنن في كل سورة تُذْكر فيها؛ بما يحقق الغرض التام للسورة؛ ليستفيد منها أولو الألباب فيسايروها ولا يصادموها؛ فيفهموا عن الله مراده فيها، فيقودوا ويسودوا وتتحقق لهم الريادة كما تحققت لأسلافهم من قبلهم.

**تعريف سنة الله :**

---

١٠٠ ( ) انظر: التحرير والتنوير : ٩/ ٣٢٦.

**السنة في اللغة:** تعني السيرة، حسنة كانت أو قبيحة[١٠١].

وقال ابن تيمية –رحمه الله– : " **والسنّة:** هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول؛ ولهذا أمر الله تعالى بالاعتبار"[١٠٢].

**وسنة الله:** هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة[١٠٣].

## السنة الأولى

## سنة الله في الظلم والظالمين

**الظلم:** وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة ، وإما بعدول عن وقته أو مكانه[١٠٤].

**ومقتضى هذه السنة :** أن الظلم في الأمم يقتضي عقابها في الدنيا بالضعف والاختلال، الذي قد يفضي إلى الزوال، أو فقد الاستقلال. وكون هذا العقاب على الأمة بأسرها، لا على مقترفي الظلم وحدهم منها، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾[الأنفال:٢٥]، وذلك أن الفتن في الأمم والظلم الذي ينتشر فيها، ولا يقوم من أفرادها وجماعاتها من يقاومه يعم فساده، بخلاف ذنوب الأفراد غير العامة المنتشرة، فالأمة في تكافلها كأعضاء الجسد الواحد، فكما أن الجسد يتداعى ويتألم كله لما يصيب بعضه كذلك الأمم.

والأصل في الفتنة هنا ما شأنه أن يقع بين الأمم من التنازع في مصالحها العامة من السيادة والملك أو الدين والشريعة، ومثله كل ما له تأثير في تفرقها وضعفها كفشو الفسق والإسراف في الترف والنعيم المفسد للأخلاق، وهو لا يصل إلى هذا الحد إلا بترك إنكار المنكر الذي تأثم به الأمة كلها، وكل من هذا وذاك ثابت في وقائع التاريخ، ومن الشواهد عليه في هذه السورة قوله تعالى: ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ

---

(١٠١) لسان العرب لابن منظور : ١٧ /٨٩.

(١٠٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٦٩/١٣.

(١٠٣) السنن الإلهية في الأفراد والجماعات والأمم، عبد الكريم زيدان: ٢٢.

(١٠٤) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص ٣١٥ .

كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأنفال:٥٤] (١٠٥).

**مناسبة هذه السنة لمقصد السورة:**

ذكر الله سبحانه هذه السنة المطردة في هذه السورة؛ لتحذير قريشاً من أن يصيبها ما أصاب قوم فرعون؛ لاتحادهما في السبب الموجب للإهلاك وهو الكفر بوحدانية الله، والتكذيب برسول الله، والعناد والاستكبار، وتسلية للمؤمنين بأن الله منجيهم كما نجى المؤمنين مع موسى عليه السلام.

**السنة الثانية: سنة الله في التقوى والمتقين:**

ومقتضى هذه السنة: أن العاقبة للتقوى ولأهلها: قال تعالى:﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف:١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ **[طه:١٣٢]**، أي العاقبة الحسنة للتقوى وأهلها في الدنيا بالنصر والعزة، كما كانت للرسل والمؤمنين معهم، وفي الآخرة بالنعيم المقيم.

**مناسبة هذه السنة لمقصد السورة:**

**أن التقوى**؛ "تكسب صاحبها مَلَكَة يفرق بها بين الحق والباطل والخير والشر والمصلحة والمفسدة؛ فيجري في أعماله على مراعاة ذلك في ترجيح الحق والخير والمصلحة على ما يقابلهن، إلا فيما عساه يعرض له من جهالة أو سهو أو نسيان لا يلبث أن يرجع عنه إذا ذكر أو تذكر(١٠٦)، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[الأنفال:٢٩].

**السنة الثالثة: سنة الله في التغيير:**

**ومقتضى هذه السنة:** كون تغير أحوال الأمم، وتنقلها في الأطوار من نعم ونقم، أثرًا طبيعيا فطريًا لتغييرها ما بأنفسها من العقائد والأخلاق والملكات التي تطبعها في الأنفس

---

١٠٥ ( ) تفسير المنار لرشيد رضا: ١٠/ ١٢١.

١٠٦ ( ) تفسير المنار لرشيد رضا: ١٠/ ١٢١.

العادات، وتترتب عليها الأعمال، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ [الأنفال:٥٣].

**مناسبة هذه السنة لمقصد السورة:**

ذكر الله سبحانه هذه السنة في سياق الحديث عن آل فرعون وما أنعم عليهم بإرسال كليمه موسى عليه السلام إليهم فلم يقدروا إحسانه سبحانه إليهم فآذوا رسوله وكليمه وكذَبوه؛ فحقت عليهم سنة الله بالإهلاك، وفي هذا تحذير لقريش أن تفعل مع نبيه وحبيبه محمد ﷺ مثل ما فعل آل فرعون؛ فيحق عليهم مثل ما حق على آل فرعون؛ فالمثيل يأخذ حكم مثيله، والشبيه يأخذ حكم شبيهه.

**السنة الرابعة: سنة الله في النصر والهزيمة:**

**ومقتضى هذه السنة: أن نصر الله للفئة المؤمنة له مقومات من استوفاها؛ تحقق له وعد الله بالنصر، ومن هذه المقومات:**

١) **التأييد الإلهي:** والمقصود أن كثرة العدد وحدها لا تقتضي النصر في الحرب؛ بل هنالك قوة معنوية إلهية قد ينصر بها الفئة القليلة على الكثيرة، قال تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال:٢٦].

**والإمداد بالملائكة قال تعالى:** ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾ [الأنفال:١٢].

**وتغشية النعاس، وإنزال الغيث: قال تعالى:** ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١﴾ **[الأنفال:١١].**

٢)**الأخذ بالأسباب المعنوية: مثل الثبات،** وذكر الله، وطاعته وطاعة رسوله، والنهي عن التنازع، والاستغاثة بالله، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال:٤٥- ٤٦]،وقال تعالى: ﴿إِذۡ

﴿تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾ **[الأنفال: ٩]**

٣) **اليقين أن النصر من عند الله، قال تعالى:** ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [الأنفال: ١٠].

٤) **تأييد المؤمنين وولايتهم لبعضهم:**

فمن مقومات النصر تأييد المؤمنين، قال تعالى : ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢].

٥) **التأليف بين المؤمنين وإصلاح ذات بينهم:**

قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ [الأنفال: ٦٣].

٦) **الأخذ بأسباب القوة المادية :**

قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ [الأنفال: ٦٥-٦٦].

**والحذر من أسباب الهزيمة والتي منها:**

١) **الفرار من الزحف:**

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنفال:١٥].

٢) **عصيان أمر القائد:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنفال:٢٠-٢١].

٣) **خيانة الله ورسوله:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال:٢٧]

٤) **فتنة الأموال والأولاد:**

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال:٢٨]

٥) **البطر والرياء:**

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنفال:٤٧].

٦) **إرادة عرض الدنيا :**

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنفال:٦٧]

٧) **ولاية الأعداء من دون الأولياء:**

وهي من أعظم مثارات الفتنة والفساد في الأمة، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال:٧٣].

**التناسق بين السنن الإلهية:**

تُبَيّن لنا السورة التناسق بين السنن الإلهية بصورة مبهرة، وبيان ذلك:

إذا تحقق المؤمنون بالتقوى وشكروا نعمة الله عليهم باختياره لهم للقيام بهذه المهمة العظيمة وقاموا بمدافعة الظالمين في ميداني الحجة والبيان والسيف والسنان؛ مكنهم الله من رقاب الظالمين فأثخنوهم الجراح، وأزالوهم من مواضع السيادة والقيادة، وحلَّ أهل التقوى مكانهم؛ فتسعد الأمة وتسعد البشرية بقيادة المتقين، ويتحقق فيهم وبهم وعد الله

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

## المطلب الرابع

## مناسبة الآيات الكونية في السورة لمقصدها

الله سبحانه وتعالى يذكر لنا في كل سورة تُذْكَر فيها الآيات الكونية؛ الآيات المناسبة لموضوع السورة؛ لأن المناسبة الموضوعية هي التي تُحَدِد القدر الذي يُعْرض من هذه الآيات في كل سورة تُذْكر فيها؛ بما يحقق الغرض التام للسورة؛ ليعلم أهل الحق المرابطون في الثغور أن الكون بمكوناته جنداً معهم بتسخير الله لهم؛ لأن الكون بما فيه والإنسان المؤمن مشتركان في العبودية لله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:١١].

عن ابن عباس–رضي الله عنهما– : النعاس في القتال أَمَنّة من الله تعالى، وفي الصلاة وسوسة من الشيطان[١٠٧].

لمَّا أنزل الله تعالى المطر؛ صار ذلك دليلًا على حصول النصرة والظفر، وعظمت النعمة به من جهات:

**أحدها: زوال العطش**؛ فقد روي أنهم حفروا موضعًا في الرمل، فصار كالحوض الكبير، واجتمع فيه الماء حتى شربوا منه وتطهروا وتزودوا.

**وثانيها: أنهم اغتسلوا من ذلك الماء، وزالت الجنابة عنهم**، وقد علم بالعادة أن المؤمن يكاد يستقذر نفسه؛ إذا كان جنبًا، ويغتم إذا لم يتمكن من الاغتسال ويضطرب قلبه لأجل هذا السبب؛ فلا جرم عد تعالى وتقدس تمكينهم من الطهارة من جملة نعمه.

**وثالثها: أنهم لما عطشوا ولم يجدوا الماء ثم ناموا واحتلموا تضاعفت حاجتهم إلى الماء** ثم إن المطر نزل؛ فزالت عنهم تلك البلية والمحنة وحصل المقصود.

وفي هذه الحالة ما قد يستدل به على زوال العسر وحصول اليسر والمسرة[١٠٨].

---

١٠٧ ( ) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان: ٥/ ٢٨٢

**مناسبة الآية الكونية لمقصد السورة:**

**جعل الله نزول المطر سبباً من أسباب نصر المجاهدين:**

- لأنه لما نزل؛ لبَّد الرمل وصيَّره بحيث لا تغوص أرجلهم فيه؛ فقدروا على المشي عليه كيف أرادوا.
- ولما ربط قلوبهم أوجب ثبات أقدامهم؛ لأن من كان قلبه ضعيفًا فر ولم يقف، فلما قوى الله تعالى قلوبهم لا جرم ثبت أقدامهم.
- روي أنه لما نزل المطر؛ حصل للكافرين ضد ما حصل للمؤمنين؛ وذلك لأن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب والوحل، فلما نزل المطر عظم الوحل؛ فصار ذلك مانعًا لهم من المشي كيفما أرادوا، فقوله: (ويثبت به الأقدام)؛ يدل دلالة المفهوم على أن حال الأعداء كانت بخلاف ذلك[١٠٩].

وتدل هذه الآية الكونية على الانسجام بين الكون ومكوناته والإنسان المؤمن المجاهد؛ فكلاهما يوحِّد الله ويظهر ذلك، وكلاهما يسبح الله تعالى، قال تعالى :﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

## المطلب الخامس

## مناسبة أسماء الله الحسنى لمقصد السورة

في هذه السورة من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا: العزيز الحكيم، والعليم الحكيم، والسميع العليم، والغفور الرحيم، والمولى، والنصير، والبصير، والقدير، والعليم بذات الصدور، وكل اسم من هذه الأسماء وغيرها يذكر في القرآن مفردًا أو مقترنًا بغيره في المكان المناسب للموضوع الذي ورد فيه، ويُفَّسر في موضعه؛ بما يقرر هذا الموضوع ويرسخه في النفوس.

**بناء السورة على الألوهية :**

---

١٠٨ ( ) الرازي، تفسير الرازي: ١٦/ ٤٦٢.

١٠٩ ( ) انظر: الرازي، تفسير الرازي: ١٦/ ٤٦٢.

هذه السورة بنيت على الألوهية ومعانيها وآثارها، فقد ورد اسم (الله) في السورة في خمسة وثمانين موضعاً، وباقي الأسماء في السورة شرح لآثار هذا الاسم(الله) ومعانيه.

ومن مقاصد الجهاد في الإسلام أن يَشْهَد الناسُ بالألوهية لله عز وجل، روى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ "(١١٠).

فاتفق هذا الاسم الجليل مع مقصد السورة وموضوعها وهو الجهاد، والسورة كلها شرح لمعانيه وآثاره.

**فإن قلت:** ما أسماء الله وصفاته التي يبذل المجاهدون أنفسهم وأموالهم في سبيله نصرة لدينه؟

**قلت:** هي الأسماء والصفات الآتية:

**١) العزيز الحكيم :**

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾[الأنفال:١٠].

قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وَالْمَقْصُودُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَإِنْ كَانُوا قَدْ نَزَلُوا فِي مُوَافَقَةِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَعْتَمِدَ عَلَى ذَلِكَ بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اعْتِمَادُهُ عَلَى إِغَاثَةِ اللَّه وَنَصْرِهِ وَهِدَايَتِهِ وَكِفَايَتِهِ؛ لِأَجْلِ أَنَّ اللَّه هُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، وَالْقَاهِرُ الَّذِي لَا يُقْهَرُ، وَالْحَكِيمُ فِيمَا يُنْزِلُ مِنَ النصرة فيضعها في موضعها(١١١)؛ حسبما تقتضيهِ الحكمةُ والمصلحةُ(١١٢).

---

١١٠ ( ) صحيح البخاري: باب: بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَنْ لاَ يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ،(٢٩٤٦)، ورواه مسلم : كتاب: الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله رقم ٢١].

١١١ ( ) تفسير الرازي: ١٥/ ٤٦٠.

١١٢ ( ) تفسير أبي السعود : ٤/ ٩.

وقال تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

هذا أمرٌ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم، أن يفوّضوا أمرهم إليه، ويسلموا لقضائه، كيما يكفيهم أعداءهم، ولا يستذلهم من ناوأهم؛ لأنه "عزيز" غير مغلوب، فجاره غير مقهور، "حكيم"؛ فيما يدبر من أمر خلقه، لا يدخل تدبيره خلل[١١٣]، فيوصل العذاب إلى أعدائه، والرحمة والثواب إلى أوليائه[١١٤]؛ فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك[١١٥].

و قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣].

قوله: إنه عزيز حكيم أي قادر قاهر، يمكنه التصرف في القلوب. ويقلبها من العداوة إلى الصداقة، ومن النفرة إلى الرغبة، حكيم بفعل ما يفعله على وجه الإحكام والإتقان[١١٦]؛ لما أراد بحيث لا يمكن لأحد أن يغير شيئاً منه؛ لما تألفوا بعد أن كان قبل كل أحد من فريقيهم للآخر أشهى من لذيذ الحياة وصافي العيش؛ لما بينهم من الإحن التي لا تزال تثور فتغلي لها الصدور حتى تفور بقتل الأحباب من الوالدين والأولاد والقهر بأنواع الأذى مع المجاورة المقتضية لدوام التحاسد وإثارة الضغائن، وكذا فعل سبحانه بجميع

---

١١٣
( ) تفسير الطبري: ١٣/ ١٥.

١١٤
( ) تفسير الرازي: ١٥/ ٤٩٣.

١١٥
( ) تفسير الطبري: ١٣/ ١٨.

١١٦
( ) تفسير الرازي: ١٥/ ٥٠٣.

العرب بعدما كان بينهم من القتل المنتشر مع ما لهم من الحمية والأنفة الحاملة على الانتقام[١١٧].

و قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾ [الأنفال:٦٧].

أي لا يصدر عنه فعل إلا وهو في غاية الإتقان؛ فهو يأمر بالإثخان عند ظهور قوة المشركين، فإذا ضعفت وقوي المسلمون؛ فأنتم بالخيار، ولا يصح ادعاء ولايته إلا لمن ترقى في معارج صفاته، فيكون عزيزاً في نفسه فلا يدنسها بالأطماع الفانية، وفعله فلا يحطه عن أوج المعالي إلى حضيض المهاوي، وحكيماً فلا ينشأ عنه فعل إلا وهو في غاية الإتقان[١١٨]، ولو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفعل، لكنه حكيم، يبتلي بعضكم ببعض[١١٩]؛ فلأجل ذلك كان اللائق بكم أن تربأوا بأنفسكم عن التعلق بسفاسف الأمور وأن تجنحوا إلى معاليها.

**٢) شَدِيدُ الْعِقَاب:**

قال تعالى : {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الأنفال:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤٨﴾ [الأنفال:٤٨]

وقال تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٥٢﴾ [الأنفال:٥٢].

قوله **(فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب)**، أي: فإن عقاب الله شديد، وأحق الناس به المشاقون له بإيثار الشرك، وعبادة الطاغوت على توحيده وعبادته، وبالاعتداء على أوليائه أولًا

---

١١٧ ( ) نظم الدرر للبقاعي: ٨/ ٣١٩.

١١٨ ( ) نظم الدرر للبقاعي: ٨/ ٣٣١.

١١٩ ( ) تفسير السعدي: ٣٢٦.

بمحاولة ردهم عن دينهم بالقوة والقهر، وإخراجهم من ديارهم ثم اتباعهم إلى مهجرهم يقاتلونهم فيه[١٢٠].

**٣) سميع عليم:**

قوله: **(إن الله سميع عليم)**، يعني: إن الله سميع، أيها المؤمنون، لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ومناشدته ربه، ومسألته إياه إهلاكَ عدوه وعدوكم، ولقِيلكم وقيل جميع خلقه، "عليم"، بذلك كله، وبما فيه صلاحكم وصلاح عباده، وغير ذلك من الأشياء، محيط به، فاتقوه وأطيعوا أمرَه وأمر رسوله[١٢١]، ولا تغتروا بظواهر الأمور، فأن الله تعالى مطلع على كل ما في الضمائر والقلوب؛ فاحذروه.

وقال تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾[الأنفال:٤٢].

قوله: (وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ )، فإن معناه: (وإن الله)، أيها المؤمنون، "لسميع"، لقولكم وقول غيركم، حين يُري الله نبيه في منامه ويريكم، عدوكم في أعينكم قليلًا وهم كثير، ويراكم عدوكم في أعينهم قليلًا، "عليم"، بما تضمره نفوسكم، وتنطوي عليه قلوبكم، حينئذ وفي كل حال[١٢٢].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[الأنفال:٥٣].

قوله تعالى : (وأن الله سميع عليم) أي ذلك بأن الله يعلم ما يضمره الناس وما يعملونه ويعلم ما ينطقون به؛ فهو يعاملهم بما يعلم منهم، وذكر صفة سميع قبل صفة عليم

---

١٢٠ تفسير المنار : ١٥/ ٥١١.

١٢١ المرجع السابق: ١٣/ ٤٤٩.

١٢٢ المرجع السابق: ١٣/ ٥٦٩.

يومئ إلى أن التغيير الذي أحدثه المعرض بهم متعلق بأقوالهم وهو دعوتهم آلهة غير الله تعالى[١٢٣].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ۞ ﴾ [الأنفال:٦١].

قوله: (إنه هو السميع العليم) ، يعني بذلك: إن الله الذي تتوكل عليه، "سميع"، لما تقول أنت ومن تسالمه وتتاركه الحربَ من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه، وما يشترط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط، "العليم"، بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه، ومن المضمر ذلك منكم في قلبه، والمنطوي على خلافه لصاحبه[١٢٤].

وفي الآية تنبيه: على الزجر عن نقض الصلح؛ لأنه عالم بما يضمره العباد، وسامع لما يقولون[١٢٥].

**٤) البصير:**

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩).

قوله تعالى : (فإن الله بما يعملون بصير)، يقول: فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الإسلام؛ لأنه يبصركم ويبصر أعمالكم، والأشياء كلها متجلية له، لا تغيب عنه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين[١٢٦].

---

١٢٣ التحرير والتنوير: ١٠/ ٤٦.

١٢٤ تفسير الطبري: ١٤/ ٤٣.

١٢٥ تفسير الرازي: ١٥/ ٥٠١.

١٢٦ تفسير الطبري: ١٣/ ٥٤٤.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ ﴾[الأنفال:٧٢].

قوله: **(والله بما تعملون بصير)**؛ تحذير للمسلمين لئلا يحملهم العطف على المسلمين على أن يقاتلوا قومًا بينهم وبينهم ميثاق، وفي هذا التحذير تنويه بشأن الوفاء بالعهد، وأنه لا ينقضه إلا أمر صريح في مخالفته[١٢٧].

**٥) المولى والنصير:**

**قوله: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ(٤٠).**

أي : أيقنوا أنّ الله "وليكم الذي يحفظكم ويرفع البلاء عنكم، ثم بين أنه تعالى نعم المولى ونعم النصير وكل ما كان في حماية هذا المولى وفي حفظه وكفايته، كان آمنا من الآفات مصونا عن المخوفات"[١٢٨].

**٦)القدير:**

**قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١).**

قوله :**(والله على كل شيء قدير)** أي يقدر على نصركم وأنتم قليلون ذليلون[١٢٩]؛ فإن ما أسداه إليكم يوم بدر؛ لم يكن جاريًا على متعارف الأسباب المعتادة، فقدرة الله قلبت الأحوال وأنشأت الأشياء من غير مجاريها[١٣٠].

---

١٢٧
التحرير والتنوير : ١٠/ ٨٧.

١٢٨
تفسير الرازي: ١٥/ ٤٨٤.

١٢٩
تفسير الرازي: ١٥/ ٤٨٦.

**٦) الذي إليه ترجع الأمور:**

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾[الأنفال:٤٤].

قوله تعالى : (وإلى الله ترجع الأمور)، أي: مصير الأمور كلها إليه في الآخرة؛ فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته[١٣١].

**٧) المُعِين للصابرين:**

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال:٤٦]. أي: اصبروا مع نبيّ الله ﷺ عند لقاء عدوكم، ولا تنهزموا عنه وتتركوه[١٣٢]، والمقصود أن كمال أمر الجهاد مبني على الصبر.

وفي الآية إيماء إلى منفعة للصبر إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالًا لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة كلها، وهذه المعية من الله هي الضمان للصابرين بالفوز والغلب والفلاح.

وقد كان للصحابة – رضي الله عنهم – في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله، وامتثال ما أرشدهم إليه – ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط، وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت

---

١٣٠ التحرير والتنوير: ١٠/ ١٥.

١٣١ تفسير الطبري: ١٣/ ٥٧٣.

١٣٢ تفسير الطبري: ١٣/ ٥٧٦.

الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم، إنه كريم وهاب[١٣٣].

**٨) العليم المحيط بكل شيء:**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال:٤٧].

قوله تعالى:(وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)، من الرياء والصدِّ عن سبيل الله، وغير ذلك من أفعالهم "محيط"، يقول: عالم بجميع ذلك، لا يخفى عليه منه شيء[١٣٤].

وفي الآية: تذكير للمسلمين بصريحه، ووعيد للمشركين بالمعنى الكنائي؛ لأن إحاطة العلم بما يعملون مجاز في عدم خفاء شيء من عملهم عن علم الله تعالى، ويلزمه أنه مجازيهم عن عملهم بما يجازي به العليم القدير من اعتدى على حرمه[١٣٥].

**٩) لا يظلم عبيده:**

قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال:٥١].

قوله تعالى:(ليس بظلام للعبيد)، لا يعاقب أحدًا من خلقه إلا بجرم اجترمه، ولا يعذبه إلا بمعصيته إياه؛ لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه[١٣٦].

**١٠) لا يحب الخائنين:**

قال تعالى:﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ **[الأنفال:٥٨]**

---

١٣٣ تفسير ابن كثير : ٤/ ٧٢

١٣٤ تفسير الطبري: ١٣/ ٥٨١.

١٣٥ التحرير والتنوير: ١٠/ ٣٤.

١٣٦ تفسير الطبري: ١٣/ ١٥.

(إن الله لا يحب الخائنين)، الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه، قبل إعلامه إياه أنه له حرب، وأنه قد فاسخه العقد[١٣٧].

ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة منهم؛ لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: {عَلَى سَوَاءٍ} وهنا قد كان معلوما عند الجميع غدرهم.

ودل مفهومها أيضًا أنه إذا لم يُخَفْ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته[١٣٨].

**١١) الغفور الرحيم:**

قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال: ٦٩]

قوله: (إن الله غفور)، لذنوب أهل الإيمان من عباده، (رحيم) ، بهم، أن يعاقبهم بعد توبتهم منها[١٣٩]، وحيث أباح لكم الغنائم وجعلها حلالا طيبا[١٤٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠].

(والله غفور)، لذنوب عباده إذا تابوا؛ (رحيم)، بهم، أن يعاقبهم عليها بعد التوبة[١٤١].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال: ٧١].

---

١٣٧ تفسير الطبري: ١٣/ ٢٦.

١٣٨ تفسير السعدي: ٣٢٤.

١٣٩ تفسير الطبري: ١٤/ ٧٢.

١٤٠ تفسير السعدي: ٣٢٦.

١٤١ تفسير الطبري: ١٤/ ٧٢.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ومن علمه وحكمته أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة الجميلة، وأن تكفل بكفايتكم شأن الأسرى وشرهم إن أرادوا خيانة[١٤٢].

**التناسق بين أسماء الله الحسنى وصفاته العليا:**

لما شملت غزوة بدر – وغيرها من ميادين الجهاد – :

**أولاً: مقولات كلا الفريقين**؛ ناسب أن يأتي بالأسماء الحسنى المناسبة لذلك، وهو **(السميع)** لاستغاثة النبي ﷺ والمؤمنين؛﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:٩]؛ فأجابهم؛ لأنهم حزبه وجنده، وسمع دعاء المشركين﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال:٣٢]؛ فاستجاب لهم وأنزل بهم عذاب بدر؛ لأن اسم (السميع) يأتي بمعنى المجيب.

**ثانياً: أعمال كلا الفريقين :**

من الخروج للقتال في سبيل الله من جهة المؤمنين، وخروج الكافرين بطرا ورئاء الناس؛ ناسب أن يذكر اسم الله (البصير)، الذي يرى أعمال عباده؛ فيعامله على أساسها، مع إعانة أوليائه؛ لأنه وليهم، ومن خذلان أعدائه؛ لأنهم حاربوا نبيه وحبيبه وصفيه؛ لذا ناسب ذكر (الولي) و(النصير).

**ثالثاً: المقاصد والنيات :**

وهي ما تخفيه الصدور؛ فناسب أن يكثر من ذكر(عليم) في السورة؛ وقرنه بالحكيم؛ لأنه أنزل النصر بمن يستحق، وحرمه ممن لا يستحق، وشرع في السورة من الأحكام التي تتعلق بموضوع السورة ما اتصفت بالإحكام والإتقان؛ لتحقيقها مصالح العباد الدينية والدنيوية.

وأبضاً ذكر مغفرته ورحمته في السورة لمن تاب ورجع إليه نادماً؛ مع وعده ألا يعاقبه؛ ولذلك ذكر(غفور رحيم).

ووصف نفسه سبحانه تعالى بالقوي شديد العقاب؛ وذلك لمن اتخذ طريقاً غير طريقه وحارب رسله ومن معهم من المؤمنين، وهذا مناسب لمقصد السورة.

---

١٤٢ تفسير السعدي: ٣٢٧.

**وهكذا تجد أخي المتأمل كيف ناسب ذكر أسماء الله وصفاته مقصد السورة وشرحتها السورة شرحاً وافياً بما يناسب موضوعها.**

## المطلب السادس

## مناسبة الفرائد لمقصد السورة

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة مجموعة من الفرائد القرآنية المناسبة تماماً لمقصد السورة؛ لأنها الألفاظ التي لا يؤدي غيرها مؤداها في هذا المقصد؛ وذلك من تمام الفصاحة؛ لذا اتسمت الفريدة القرآنية باتساقها الكامل مع المعنى المـُراد منها في سياق السورة بما لا تغني عنها لفظة أخرى.

**تعريف الفرائد في اللغة والاصطلاح:**

**لغة:**

**فرد:** الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة. . . والفريد: الدر إذا نظم وفصل بينه بغيره[١٤٣].

والفريد، بغير هاء، الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها، والفريدة وهي الشذر من فضة كاللؤلؤة[١٤٤].

**اصطلاحًا:**

«إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حَبِّ العِقْدِ، تدل على عِظَمِ فصاحته، وقوَّة عارضته، وشدة عربيته؛ حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعَزَّ على الفصحاء غرامتها»[١٤٥]؛ أي خسارتها وفقدانها.

**ومن التعريف اللغوي والاصطلاحي:**

نستخلص أن الفريدة: هي الشيء النفيس الذي لا نظير له، سواء أكان ماديًّا كالذهب والدر، أو معنويًّا كالكلام الفريد المفصَّل.

**وإلى الحديث عن الفرائد واتساقها مع مقصد السورة:**

**١) مُتَحَيِّزاً:**

---

[١٤٣] مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/ ٥٠٠.

[١٤٤] لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٣٣٢.

[١٤٥] تحرير التحبير، ابن أبى الأصبع، تحقيق د. حفني شرف ص578، 576، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1983م.

قال تعالى : {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِير}[الأنفال:١٦].

التحيز الانضمام إلى ناحية أو جماعة أخرى.

فإذا كان المتحيز كالمنفرد، وفي الكفار كثرة، وغلب على ظن ذلك المنفرد أنه إن ثبت قتل من غير فائدة، وإن تحيز إلى جمع كان راجيًا للخلاص، وطامعًا في العدو بالكثرة؛ فربما وجب عليه التحيز إلى هذه الفئة فضلًا عن أن يكون ذلك جائزًا[١٤٦].

قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ) (الأنفال:١٥).

**٢) زَحْفاً**

**(زَحَفَ)** الزَّاءُ وَالْحَاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِانْدِفَاعِ وَالْمُضِيِّ قُدُمًا. فَالزَّحْفُ: الْجَمَاعَةُ يَزْحَفُونَ إِلَى الْعَدُوِّ[١٤٧].

أصل الزَّحْفِ: انبعاث مع جرّ الرّجل، كانبعاث الصّبيّ قبل أن يمشي وكالبعير إذا أعيا فجرّ فرسنه [١٤٨]، وكالعسكر إذا كثر فيعثر انبعاثه[١٤٩].

**زَحْفاً** يراد به متقابلي الصفوف والأشخاص، أي يزحف بعضهم إلى بعض، وأصل **الزحف** الاندفاع على الألية ثم سمي كل ماش إلى آخر في الحرب رويدًا زاحفًا، إذ في مشيته من التماهل والتباطؤ ما في مشي الزاحف[١٥٠].

---

١٤٦
تفسير الرازي: ١٥/ ٤٦٥.

١٤٧
مقاييس اللغة : ٣/ ٤٩.

١٤٨
الفرسن من البعير بمنزلة الحافر من الدابة.

١٤٩
مفردات غريب القرآن : ٣٧٩.

١٥٠
المحرر الوجيز لابن عطية : ٢/ ٥٠٩.

**والزحف** أصله مصدر زحف من باب منع، إذا انبعث من مكانه متنقلًا على مقعدته يجرر جيله كما يزحف الصبي.
ثم أطلق على مشي المقاتل إلى عدوه في ساحة القتال زحف؛ لأنه يدنو إلى العدو باحتراس وترصد فرصة، فكأنه يزحف إليه[١٥١].
وفي الآية تصوير سير الجيش لكثرته وثقل حركته بالزحف.
**المعنى:** إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفرّوا، فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم، أو حال من الفريقين. أى إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم، أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين، وهم زحف من الزحوف اثنى عشر ألفاً، وتقدمة نهى لهم عن الفرار يومئذ[١٥٢].
**مناسبة الفريدة لمقصد السورة :**
من فنون الجهاد: الزحف؛ وهو مشي المقاتل إلى عدوه في ساحة الجهاد؛ لأنه يدنو إلى العدو باحتراس وترصد فرصة؛ ليباغته.
**٣) فَشَرِّدْ :**
قوله تعالى : فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ " (٥٧) الأنفال .
**ش ر د**
**شَرَدَ** : نفر، والتشريد: الطرد والتفريق، وشرِّد: طرِّد وفرِّق.
**أي: نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون به عبرة لمن بعدهم.**
**ش و ك**
**٤) الشَّوْكَةِ :**
قال تعالى : {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِين}[الأنفال:٧]

١٥١
التحرير والتنوير لابن عاشور : ٩/ ٢٨٦.

١٥٢
الكشاف للزمخشري : ٢/ ٢٠٦.

الشوكة أصلها الواحدة من الشوك وهو ما يخرج في بعض النبات من أعواد دقيقة تكون محددة الأطراف كالإبر، فإذا نزغت جلد الإنسان أدمته أو آلمته، وإذا علقت بثوب أمسكته[١٥٣].

ثم عبر به عن القوة والسلطان، والسلاح، يقال فيه شوكة، والشوكة أيضاً شدة البأس. أى تتمنون أن تكون لكم العير؛ لأنها الطائفة التي لَا حِدَّةَ لَهَا وَلَا شِدَّةَ [١٥٤]، وتودون غنيمة بدون حرب.

والتعبير عنهم بهذا العنوان؛ للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير[١٥٥].

**٥) مُكَاء**

قال تعالى: {وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُون}[الأنفال:٣٥]

**م ك و**

مَكَو : صَفَر، **وَالْمُكَاءُ**: الصَّفِيرُ[١٥٦].

كانوا يفعلونهما إذ صلّى المسلمون؛ ليخلطوا عليهم صلاتهم[١٥٧].

وجاءت مناسبة للآية السابقة لها، وكأن سائلا يسأل لماذا سلبت الولاية منهم؛ فجاءت هذه الآية كالدليل المقرر لانتفاء ولايتهم للمسجد الحرام؛ لأن من كان يفعل مثل هذا عند مسجد الله؛ لم يكن من المتقين، فكان حقيقًا بسلب ولاية المسجد عنه[١٥٨].

---

١٥٣
التحرير والتنوير :٩/ ٢٧٠.

١٥٤
الكشاف للزمخشري : ٢/ ١٩٩.

١٥٥
تفسير الألوسي: ٥/ ١٦١.

١٥٦
تفسير الرازي: ١٥/ ٤٨١.

١٥٧
تفسير ابن جزي : ١/ ٣٢٥.

وهذا تشنيع لأفعالهم؛ لبيان استحقاقهم للعذاب الذي حل بهم يوم بدر، من قتل وأسر وحرب.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية} قال: كانت قريش تطوف بالكعبة عراة تصفر وتصفق[١٥٩].

وقال مجاهد: وإنما كانوا يصنعون ذلك؛ ليخلطوا بذلك على النبي ﷺ صلاته[١٦٠].

**التناسق بين الفرائد القرآنية:**

جمعت هذه الفرائد بين فنون للمجاهد في قتاله لأعداء الدين، وأسباب هذا القتال، وطبيعة النفس البشرية في إقبالها على القتال إلا أن تُهيء وتعد؛ فيصبح الموت في سبيل الله أسمى أمانيها.

**فمن طبائع النفس البشرية؛** أنها تكره القتال كراهة طبع لا كراهة تشريع؛ لذا أحبت الخروج للعير وهو بالمقصود بغير ذات الشوكة أي الذي ليس فيه حدة ولا شدة؛ لكن عندما علم المؤمنون أن القتال خير لهم وأنه موصل للجنة؛ أقبلوا عليه مرددين" هبي يا ريح الجنة"، وعندما حث الرسول على الجهاد؛ قال أحدهم بخ بخ ما بيني وبينها إلا هذه التمرات؛ فألقاها وجاهد حتى لقي ربه شهيداً، وهكذا إذا دخل الإيمان في القلوب؛ حبب إليه لقاء الله.

**ومن أسباب جهاد المشركين:** المكاء(الصفير)، حيث كان المشركون يخلطون على المسلمين عند أدائهم للصلاة؛ استهزاء بهم، واحتقاراً لصلاتهم.

**ومن فنون الجهاد:**

- **عدم الفرار من الزحف؛** لأنه كبيرة من الكبائر، ويكون سبباً في إحداث القتل الكثير في المتولي.

---

١٥٨
التحرير والتنوير : ٩/ ٣٣٨.

١٥٩
تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٢,

١٦٠
تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٢,

- **ومن فنونه:** التحيز إلى فئة؛ لإحداث النكال في العدو.

وبهذا النظم انتظمت الفرائد في نسق واحد على نظام واحد من تهيئة النفس للجهاد قبل ملاقاة العدو، وتعريفها بمقاصد جهاد الكافرين، وما يجب عليها في ميدان الجهاد من فنون.

## المطلب السابع

## مناسبة نداء الله للمؤمنين في السورة لمقصدها

النداء بقوله:( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ)؛ للتنبيه على أن الموصوفين بهذه الصلة من شأنهم أن يتقبلوا ما سيؤمرون به؛ لأنه خليق بالإيمان أن يكون باعثًا لأهله على الامتثال لما يؤمرون به أو ينهون عنه، قال ابن مسعود ﷺ:" " إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] «فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُهُ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ»[١٦١].

## النداء الأول

## وجوب الثبات في ميدان الجهاد

قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾[الأنفال:١٥].

لما ذكَّر الله المسلمين بما أيدهم يوم بدر بالملائكة والنصر من عنده، وأكرمهم بأن نصرهم على المشركين الذين كانوا أشد منهم وأكثر عددًا وعددًا، وأعقبه بأن أعلمهم أن ذلك شأنه مع الكافرين به؛ اعترض في خلال ذلك بتحذيرهم من الوهن والفرار؛ وفي هذا تدريب للمسلمين على الشجاعة والإقدام والثبات عند اللقاء[١٦٢].

**وإنما حرم الله الفرار في وقت مناجزة المشركين ومجالدتهم وهو وقت اللقاء؛ لأن الفرار حينئذ يوقع في الهزيمة الشنيعة والتقتيل،** وذلك أن الله أوجب على المسلمين قتال المشركين فإذا أقدم المسلمون على القتال لم يكن نصرهم إلا بصبرهم وتأييد الله إياهم، فلو انكشفوا بالفرار؛ لأعمل المشركون الرماح في ظهورهم فاستأصلوهم، فلذلك أمرهم الله

---

[١٦١] تفسير ابن أبي حاتم : ١/ ١٩٦.

١٦٢

التحرير والتنوير : ٩/ ٢٨٦.

ورسوله بالصبر والثبات، فيكون ما في هذه الآية هو حكم الصبر عند اللقاء، وبهذا يكون التقييد بحال الزحف للاحتراز عن اللقاء في غير تلك الحالة[١٦٣].

وعبر عن حال لقائهم بالمصدر مبالغة في التشبيه فقال: **{زحفاً}** أي حال كونهم زاحفين محاربين وهم من الكثرة بحيث لا يدرك من حركتهم – وإن كانت سريعة – إلا مثل الزحف[١٦٤].

**ولعل حكمة ذلك أن يمضي المسلمون في نصر الدين.**

١٦٣

المرجع السابق : ٨/ ٢٩٢

١٦٤

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي : ١٠/ ٣٤.

## النداء الثاني

## طاعة الله ورسوله وعدم التولي عنه

**قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[الأنفال:٢٠].**

لما أراهم الله آيات لطفه وعنايته بهم، ورأوا فوائد امتثال أمر الرسول ﷺ بالخروج إلى بدر، وقد كانوا كارهين الخروج؛ أعقب ذلك بأن أمرهم بطاعة الله ورسوله شكرًا على نعمة النصر، واعتبارًا بأن ما يأمرهم به خير عواقبه، وحذرهم من مخالفة أمر الله ورسول ﷺ[١٦٥].

ولما أمرهم بأمر شديد على النفوس وهو قوله: (إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار) [الأنفال: ١٥] وأظهر لهم ما كان من عجيب النصر لما ثبتوا كما أمرهم الله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم [الأنفال: ١٧] ، وضمن لهم النصر إن هم أطاعوا الله ورسوله وطلبوا من الله النصر؛ أعقب ذلك بإعادة أمرهم بأن يطيعوا الله ورسوله ولا يتولوا عنه... والطاعة امتثال الأمر والنهي. والتولي الانصراف[١٦٦].

وجملة: وأنتم تسمعون في موضع الحال من ضمير تولوا والمقصود من هذه الحال تشويه التولي المنهي عنه، فإن العصيان مع توفر أسباب الطاعة أشد منه في حين انخرام بعضها. فالمراد بالسمع هنا حقيقته أي في حال لا يعوزكم ترك التولي بمعنى الإعراض-؛ وذلك لأن فائدة السمع العمل بالمسموع، فمن سمع الحق ولم يعمل به فهو الذي لا يسمع سواء في عدم الانتفاع بذلك المسموع [١٦٧].

## النداء الثالث

## التحذير من التراخي في الاستجابة إلى دعوة الرسول ﷺ

---

١٦٥
التحرير والتنوير : ٩/ ٣٠٥

١٦٦
التحرير والتنوير : ٩/ ٣٠٥

١٦٧
التحرير والتنوير : ٩/ ٣٠٥

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤].

لما أمرهم بالطاعة وحذَّرهم من أحوال الذين يقولون سمعنا وهم لا يسمعون؛ أعقب ذلك بالأمر بالاستجابة للرسول؛ إذا دعاهم إلى شيء، فإن في دعوته إياهم إحياء لنفوسهم وأعلمهم أن الله يكسب قلوبهم بتلك الاستجابة قوى قدسية[١٦٨].

وجملة (لِمَا يُحْيِيكُمْ) مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان، فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع، وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة، والحرية حياة، واستقامة أحوال العيش حياة[١٦٩].

ولما كان دعاء الرسول ﷺ لا يخلوا عن إفادة شيء من معاني هذه الحياة أمر الله الأمة بالاستجابة له، فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول سواء دعا حقيقة بطلب القدوم، أم طلب عملا من الأعمال، فلذلك لم يكن قيد لما يحييكم مقصودا لتقييد الدعوة ببعض الأحوال بل هو قيد كاشف، فإن الرسول ﷺ لا يدعوهم إلا وفي حضورهم لديه حياة لهم، ويكشف عن هذا المعنى في قيد لما يحييكم ما رواه أهل الصحيح عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: ألم يقل الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال: ألا أعلمك صورة الحديث في فضل فاتحة الكتاب، فوقفه على قوله: إذا دعاكم يدل على أن لما يحييكم قيد كاشف وفي «جامع الترمذي» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب فقال: يا أبي- وهو يصلي- فالتفت أبي ولم يجبه وصلى أبي فخفف ثم انصرف إلى رسول الله فقال: السلام عليك يا رسول الله- فقال رسول الله ﷺ: وعليك السلام ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ

---

١٦٨ التحرير والتنوير : ٩/ ٣١٥

١٦٩ التحرير والتنوير : ٩/ ٣١٥

دعوتك– فقال: يا رسول الله إني كنت في الصلاة– فقال: أفلم تجد فيما أوحي إلي أن استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم– قال: بلى ولا أعود إن شاء الله».

والمقصود من قوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)؛ والمقصود من هذا تحذير المؤمنين من كل خاطر يخطر في النفوس: من التراخي في الاستجابة إلى دعوة الرسول ﷺ، والتنصل منها، أو التستر في مخالفته[١٧٠].

**وقوله تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب (٢٥).**

عقب تحريض جميعهم على الاستجابة، المستلزم تحذيرهم من ضدها بتحذير المستجيبين من إعراض المعرضين؛ ليعلموا أنهم قد يلحقهم أذى من جراء فعل غيرهم؛ إذا هم لم يُقَوِّمُوا عِوَجَ قَوْمِهِمْ، كيلا يحسبوا أن امتثالهم كاف إذا عصى دهماؤهم، فحذرهم فتنة تلحقهم فتعم الظالم وغيره.

فإن المسلمين إن لم يكونوا كلمة واحدة في الاستجابة لله وللرسول عليه الصلاة والسلام دب بينهم الاختلاف واضطربت أحوالهم واختل نظام جماعتهم باختلاف الآراء وذلك الحال هو المعبر عنه بالفتنة[١٧١].

فعلى عقلاء الأقوام وأصحاب الأحلام منهم إذا رأوا دبيب الفساد في عامتهم أن يبادروا للسعي إلى بيان ما حل بالناس من الضلال في نفوسهم، وأن يكشفوا لهم ماهيته وشبهته وعواقبه، وأن يمنعوهم منه بما أوتوه من الموعظة والسلطان، ويزجروا المفسدين عن ذلك الفساد حتى يرتدعوا، فإن هم تركوا ذلك، وتوانوا فيه لم يلبث الفساد أن يسري في النفوس وينتقل بالعدوى من واحد إلى غيره، حتى يعم أو يكاد، فيعسر اقتلاعه من النفوس، وذلك الاختلال يفسد على الصالحين صلاحهم وينكد عيشهم على الرغم من صلاحهم واستقامتهم؛ فظهر أن الفتنة إذا حلت بقوم لا تصيب الظالم خاصة بل تعمه والصالح، فمن أجل ذلك وجب اتقاؤها على الكل، لأن أضرار حلولها تصيب جميعهم.

---

١٧٠ التحرير والتنوير : ٩/ ٣١٥

١٧١ المرجع السابق : ٩/ ٣١٦

وبهذا تعلم أن الفتنة قد تكون عقابًا من الله تعالى في الدنيا، فهي تأخذ حكم العقوبات الدنيوية التي تصيب الأمم، فإن من سنتها أن لا تخص المجرمين إذا كان الغالب على الناس هو الفساد، لأنها عقوبات تحصل بحوادث كونية يستتب في نظام العالم الذي سنه الله تعالى في خلق هذا العالم أن يوزع على الأشخاص كما ورد في حديث النهي عن المنكر في الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» وفي «صحيح مسلم» عن زينب بنت جحش أنها قالت: «يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون- قال: نعم إذا كثر الخبث ثم يحشرون على نياتهم»[١٧٢].

## النداء الرابع

## التحذير من العصيان الخفي

قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧].

خطاب للمؤمنين يحذرهم من العصيان الخفي؛ بعد أن أمرهم بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله ﷺ؛ حذرهم من أن يظهروا الطاعة والاستجابة في ظاهر أمرهم ويبطنوا المعصية والخلاف في باطنه، ومناسبته لما قبله ظاهرة وإن لم تسبق من المسلمين خيانة وإنما هو تحذير.

فالإيمان والطاعة لله ورسوله عهد بين المؤمن وبين الله ورسوله، فكما حُذِّروا من المعصية العلنية؛ حُذِّروا من المعصية الخفية.

وللأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها، وهي دليل نزاهة النفس واعتدال أعمالها.

وجعل نفس «الأموال والأولاد» فتنة؛ لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما، مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكأن وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة[١٧٣].

---

١٧٢

التحرير والتنوير : ٩/ ٣١٧

١٧٣
انظر: التحرير والتنوير : ٩/ ٣٢١

## النداء الخامس

## الترغيب في التقوى وبيان حسن عاقبتها

**قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩].**

أعقب التحذير من العصيان والتنبيه على سوء عواقبه؛ بالترغيب في التقوى وبيان حسن عاقبتها وبالوعد بدوام النصر واستقامة الأحوال إن هم داموا على التقوى.

ولقد بدا حسن المناسبة إذ رتبت على المنهيات تحذيرات من شرور وأضرار؛ ورتب على التقوى: الوعد بالنصر ومغفرة الذنوب وسعة الفضل[١٧٤].

## النداء السادس

## مقومات النصر في معارك الجهاد

**قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]**

لما عرَّفهم الله بنعمه ودلائل عنايته، وكشف لهم عن سر من أسرار نصره إياهم، وكيف خذل أعداءهم، وصرفهم عن أذاهم؛ فاستتب لهم النصر مع قلتهم وكثرة أعدائهم؛ أقبل في هذه الآية على أن يأمرهم بما يهيء لهم النصر في المواقع كلها، ويستدعي عناية الله بهم وتأييده إياهم، فجمع لهم في هذه الآية ما به قوام النصر في الحروب[١٧٥].

**اللقاء:** غلب إطلاقه على لقاء خاص وهو لقاء القتال؛ فيرادف القتال والنزال.

**والثبات:** أطلق هنا وأريد به الدوام على القتال وعدم الفرار، وقد عبر عنه بالصبر في الحديث الصحيح لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا[١٧٦]

وذكر الله، المأمور به هنا: هو ذكره باللسان؛ لأنه يتضمن ذكر القلب، وزيادة فإنه إذا ذكر بلسانه فقد ذكر بقلبه وبلسانه، وسمع الذكر بسمعه، وذكر من يليه بذلك الذكر،

---

١٧٤
انظر: المرجع السابق : ٩/ ٣٢٦.

١٧٥
انظر: التحرير والتنوير : ١٠/ ٢٩.

١٧٦
انظر: المرجع السابق.

ففيه فوائد زائدة على ذكر القلب المجرد، وقرينة إرادة ذكر اللسان ظاهر وصفه ب «كثير»؛ لأن الذكر بالقلب يوصف بالقوة، والمقصود تذكر أنه الناصر. وهذان أمران أمروا بهما وهما يخصان المجاهد في نفسه، ولذلك قال: لعلكم تفلحون. فهما لإصلاح الأفراد، ثم أمرهم بأعمال راجعة إلى انتظام جيشهم وجماعتهم، وهي علائق بعضهم مع بعض، وهي الطاعة وترك التنازع، فأما طاعة الله ورسوله فتشمل اتباع سائر أحكام القتال المشروعة بالتعيين، مثل الغنائم. وكذلك ما يأمرهم به الرسول ﷺ من آراء الحرب، كقوله للرماة يوم أحد: «لا تبرحوا من مكانكم ولو تخطفنا الطير». وتشمل طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام طاعة أمرائه في حياته، لقوله: «ومن أطاع أميري فقد أطاعني»، وتشمل طاعة أمراء الجيوش بعد وفاة الرسول ﷺ لمساواتهم لأمرائه الغائبين عنه في الغزوات والسرايا في حكم الغيبة عن شخصه.

وأما النهي عن التنازع فهو يقتضي الأمر بتحصيل أسباب ذلك: بالتفاهم والتشاور، ومراجعة بعضهم بعضا، حتى يصدروا عن رأي واحد، فإن تنازعوا في شيء رجعوا إلى أمرائهم لقوله تعالى: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم [النساء: ٨٣] . وقوله: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول [النساء: ٥٩] . والنهي عن التنازع أعم من الأمر بالطاعة لولاة الأمور: لأنهم إذا نهوا عن التنازع بينهم، فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي.

ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة بسط القرآن القول فيه ببيان سيئ آثاره، فجاء بالتفريع بالفاء في قوله: فتفشلوا وتذهب ريحكم فحذرهم أمرين معلوما سوء مغبتهما: وهما الفشل وذهاب الريح.

**والفشل:** انحطاط القوة، وهو هنا مراد به حقيقة الفشل في خصوص القتال ومدافعة العدو، ويصح أن يكون تمثيلا لحال المتقاعس عن القتال بحال من خارت قوته وفشلت أعضاؤه، في انعدام إقدامه على العمل. وإنما كان التنازع مفضيا إلى الفشل؛ لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضا، وتوقع عدم إلفاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم، فيتمكن منهم العدو، كما قال في سورة آل عمران [١٥٢] حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم.

**والريح** حقيقتها تحرك الهواء وتموجه، واستعيرت هنا للغلبة، وأحسب أن وجه الشبه في هذه الاستعارة هو أن الريح لا يمانع جريها ولا عملها شيء فشبه بها الغلب والحكم.
والمعنى: وتزول قوتكم ونفوذ أمركم، وذلك لأن التنازع يفضي إلى التفرق، وهو يوهن أمر الأمة.
ثم أمرهم الله بشيء يعم نفعه المرء في نفسه وفي علاقته مع أصحابه، ويسهل عليهم الأمور الأربعة، التي أمروا بها آنفا في قوله: فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وفي قوله: وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا الآية. ألا وهو الصبر، فقال: واصبروا لأن الصبر هو تحمل المكروه، وما هو شديد على النفس، وتلك المأمورات كلها تحتاج إلى تحمل المكاره، فالصبر يجمع تحمل الشدائد والمصاعب، ولذلك كان قوله: واصبروا بمنزلة التذييل.
وقوله: إن الله مع الصابرين إيماء إلى منفعة للصبر إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالا لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة كلها.
قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[الأنفال:٤٧].
جيء في نهيهم عن البطر والرئاء بطريقة النهي عن التشبه بالمشركين؛ إدماجا للتشنيع بالمشركين وأحوالهم، وتكريها للمسلمين تلك الأحوال؛ لأن الأحوال الذميمة تتضح مذمتها، وتتكشف مزيد الانكشاف إذا كانت من أحوال قوم مذمومين عند آخرين، وذلك أبلغ في النهي، وأكشف لقبح المنهي عنه؛ فنهوا عن أن يشبهوا حال المشركين في خروجهم لبدر إذ خرجوا بطرا ورئاء الناس؛ لأن حق كل مسلم أن يريد بكل قول وعمل وجه الله، والجهاد من أعظم الأعمال الدينية[١٧٧].

**التناسق بين النداءات في السورة:**

جمع الله لهم في هذه النداءات بين الأمر بما ينبغي، والتحذير مما لا ينبغي، وترك التشبه بمن لا يرتضى؛ لتنتظم بذلك حالة النصر، والنجاة من حالة الهزيمة في نسق واحد.

**١) الأمر بما ينبغي؛ لتحقيق كمال النصر:**

---

١٧٧
انظر: التحرير والتنوير : ١٠/ ٣٤.

**قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُون﴾[الأنفال:٢٠].**

**وقوله تعالى :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُون﴾[الأنفال:٢٤].**

**وقوله تعالى : قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم﴾[الأنفال:٢٩].**

**وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُون﴾[الأنفال:٤٥]**

**٢) والتحذير مما لا ينبغي؛ للنجاة من الهزيمة :**

قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَار﴾[الأنفال:١٥].

وقوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾[الأنفال:٢٧].

**وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُون﴾[الأنفال:٢٤].**

**٣) وترك التشبه بمن لا يرتضى:**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[الأنفال:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ **[الأنفال:٢١]**

**فتم بهذا الأسلوب البديع المُحْكَم الانتظام؛ التناسب والتناسق بين النداءات ومعانيها، بما يحقق استقامة أحوال المؤمنين وحفظ جماعتهم في جهادهم لأعدائهم.**

## المطلب الثامن

## مناسبة خطاب النبي ﷺ لمقصد السورة

خاطب الله رسوله ﷺ في النداءات بوصف النبوة الذي معناه الرفعة والاطلاع من جهة الله على ما لا يعلمه العباد؛ لأنه في سياق الإخبار ببعض المغيبات والتصرف في الملكوت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾أي العالي القدر الذي نُعْلِمه بعواقب أموره[١٧٨].

---

١٧٨ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨/ ٣١٩.

**وفي هذه النداءات**؛ تشريف لمقامه بأن الله يكفي الأمة لأجله.

## النداء الأول

## كفاية الله لرسوله ﷺ من شر أعدائه

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ ﴾[الأنفال: ٦٤].

**مناسبتها لما قبلها ولما بعدها:**

لما أخبره بأنه حسبه وكافيه، وبين ذلك بأنه أيده بنصره فيما مضى وبالمؤمنين، فقد صار للمؤمنين حظ في كفاية الله تعالى رسوله ﷺ؛ فلا جرم أنتج ذلك أن حسبه الله والمؤمنون[١٧٩].

**ومناسبتها لما بعدها:**

أنها تمهيد لأمر المؤمنين بالقتال؛ ليحققوا كفايتهم الرسول[١٨٠].

وقوله (وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين)؛ **فيه تطييب لقلوبهم وجبر لخواطرهم**[١٨١].

## النداء الثاني

## تحريض الرسول ﷺ المؤمنين على القتال

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ﴾ [الأنفال:٦٥].

**التحريض:** الحث على حضور الشيء؛ **فحرض على القتال:** حث على الطيران إليه بتعاطي أسبابه والاستعداد لحضوره حتى يصير المحثوث كأنه حاضر، متى قيل: يا

---

١٧٩ التحرير والتنوير : ٨/ ٢٩٢

١٨٠ المرجع السابق : ٨/ ٢٩٢

١٨١ انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨/ ٣١٩. بتصرف يسير.

صباحاه! طار إلى المنادي، وكان أول حاضر إلى النادي، لأنه لا مانع له من شيء من الأشياء بل استعداده استعداد الحاضر في الصف[١٨٢].

## النداء الثالث

## ترغيب الأسرى في الإسلام

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠].

لما أخذ الرسولُ الفداءَ من الأسارى، وشق عليهم أخذ أموالهم منهم؛ ذكر الله هذه الآية؛ استمالة لهم، وترغيبًا لهم في الإسلام ببيان ما فيه من خيري الدنيا والآخرة؛ لأن "الأسرى في المعسكر المسلم ينبغي أن يرغبوا في الإسلام؛ بوعد الله لهم أن يعطيهم خيرًا مما أخذ منهم من الغنيمة أو الفداء؛ مع تحذيرهم من الخيانة ببأس الله الذي أمكن منهم أول مرة[١٨٣].

**التناسق بين خطاب النبي ﷺ:**

في هذه النداءات بين الله كفايته له من أعدائه ونصره عليهم، وبين حال المؤمنين معه وحاله والمؤمنين مع الأسرى.

فأما حال المؤمنين معه فهو الدفاع عنه ضد أعدائه طالما فيهم عين تطرف، وحاله وحالهم مع الأسرى الراغبين في الإسلام؛ هو ترغيبهم في الدخول في الإسلام ووعدهم وعد الصدق بالخير العميم في الدنيا والآخرة.

وبهذه الأدوار الكريمة يقوى الدين ويعلو وينتشر سواء كان في **ميدان الجهاد**؛ فيرهبون بنتائجه عدو الله وعدوهم، **وفي ميدان الدعوة** (دعوة الأسرى) بزيادة الداخلين فيه المؤيدين له المنافحين عنه؛ وبذلك نالوا أعلى الدرجات في الدنيا والاخرة رضي الله عنهم.

---

١٨٢

انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨/ ٣٢١. بتصرف يسير.

١٨٣

في ظلال القرآن لسيد قطب :٣/ ١٥٣٨.

## المطلب التاسع
## مناسبة المعجزات الإلهية لمقصد السورة

**المعجزة الأولى: الإمداد بالملائكة:**

قال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:٩] .

لما بين في الآية الأولى أنه يحق الحق ويبطل الباطل؛ بين أنه تعالى نصرهم عند الاستغاثة[١٨٤].

قوله تعالى (أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُرْدِفِينَ)، أنه تعالى لما حكى عنهم الاستغاثة؛ بين أنه تعالى أجابهم[١٨٥].

أشارت الآية إلى دعاء النبي ﷺ يوم بدر، روى الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب: قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، مادا يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، إنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: ٩][١٨٦].

**مناسبة التبشير بإمداد الملائكة لمقصد السورة :**

إن يوم بدر كان في أول يوم لقي فيه المسلمون عدوًا قويًا وجيشًا عديدًا؛ فبشرهم الله بكيفية النصر الذي ضمنه لهم بأنه بجيش من الملائكة؛ لأن النفوس أميل إلى

---

١٨٤
تفسير الرازي: ١٥/ ٤٥٩.

١٨٥
تفسير الرازي: ١٥/ ٤٥٩.

[١٨٦] سنن الترمذي: باب ومن سورة الأنفال، (٣٠٨١)، قال الألباني: حديث حسن، انظر: صحيح وضعيف الترمذي،( ٣٠٨١).

المحسوسات، فالنصر معنى من المعاني يدق إدراكه وسكون النفس لتصوره بخلاف الصور المحسوسة من تصوير مدد الملائكة ورؤية أشكال بعضهم[١٨٧].

لقد استجاب لهم ربهم وهم يستغيثون، وأنبأهم أنه ممدهم بألف من الملائكة مردفين .. ومع عظمة هذا الأمر ودلالته على قيمة هذه العصبة وقيمة هذا الدين في ميزان الله إلا أن الله سبحانه لا يدع المسلمين يفهمون أن هناك سببا ينشئ نتيجة، إنما يرد الأمر كله إليه – سبحانه – تصحيحا لعقيدة المسلم وتصوره. فهذه الاستجابة، وهذا المدد، وهذا الإخبار به ... كل ذلك لم يكن إلا بشرى، ولتطمئن به القلوب. أما النصر فلم يكن إلا من عند الله ولا يكون[١٨٨].

**المعجزة الثانية: النُعَاس:**

قال تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾[الأنفال:١١].

أنه تعالى لما ذكر أنه استجاب دعاءهم ووعدهم بالنصر فقال: (وما النصر إلا من عند الله)؛ ذكر عقيبه وجوه النصر[١٨٩].

وإنما كان (النعاس) أمنا لهم؛ لأنهم لما ناموا زال أثر الخوف من نفوسهم في مدة النوم فتلك نعمة، ولما استيقظوا وجدوا نشاطًا، ونشاط الأعصاب يكسب صاحبه شجاعة ويزيل شعور الخوف الذي هو فتور الأعصاب[١٩٠].

**مناسبة التغشية بالنعاس لمقصد السورة :**

كان النعاس أمنة؛ لأن فيه اللطف والسكينة والرحمة الربانية، التي وهبها الله للمجاهدين في سبيله.

**المعجزة الثالثة: نزول المطر:**

---

١٨٧
التحرير والتنوير لابن عاشور : ٩/ ٢٧٦

١٨٨
في ظلال القرآن لسيد قطب : ٣/ ١٤٨٣.

١٨٩
تفسير الرازي: ١٥/ ٤٦١.

١٩٠
التحرير والتنوير لابن عاشور: ٩/ ٢٧٨

قال تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:١١].

كل هذه النعم كانت نتيجة نزول المطر في هذا الموقع، والمقصود بتثبيت الأقدام هنا تثبيت الأقدام الحقيقي على الرمال. واطمئنان القلب بأن الله يؤيدهم لا يتركهم في هذا المأزق وفي هذه الأزمة.

**المعجزة الرابعة : رمي رسول الله للتراب:**

قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيم﴾ [الأنفال:١٧].

يعني أن القبضة من الحصباء التي رميتها، فأنت ما رميتها في الحقيقة؛ لأن رميك لا يبلغ أثره إلا ما يبلغه رمي سائر البشر، ولكن الله رماها حيث نفذ أجزاء ذلك التراب وأوصلها إلى عيونهم، فصورة الرمية صدرت من الرسول عليه الصلاة والسلام وأثرها إنما صدر من الله[١٩١].

ودلالة الآية أعم؛ فهي تمثل تدبير الله للأمر كله من وراء الحركة الظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم والعصبة المسلمة معه[١٩٢].

**التناسق بين المعجزات في السورة:**

بَيَّن الله ﷻ في هذه الآيات إمداده للمؤمنين بالمعجزات في غزوة بدر؛ ليعلمهم أنه الفاعل في الغزوة وأنهم ستار للقدرة؛ لينالوا بفضله ثواب الجهاد والبلاء الحسن، وأنه القادر على الانتصار من أعدائه بجنوده التي لا يعلمها إلا هو، واختيارهم ليجري النصر على أيديهم كرامة لنبيه، ورفع لشأنهم، وعلواً لمكانتهم.

وجمع سبحانه للمجاهدين في سبيله في هذه المعجزات بين ما كان سبباً في ثبات **القلوب** واطمئنانها، وهو التبشير بالملائكة، وبين ما كان سبباً في **ثبات الأقدام** وهو

---

١٩١ تفسير الرازي: ١٥/ ٤٦٦.

١٩٢ في ظلال القرآن: ٣/ ١٤٩٠.

نزول المطر، وبين وما كان ثمرة في **تسديد الأيدي** وهو الرمي، فانتظمت بذلك أسباب النصر في نفس المؤمن المجاهد، وكلها من أفعال الله عز وجل، وبالعكس من ذلك مع الكافرين، ألقى في قلوبهم الرعب، وساخت الأرض من تحت أقدامهم، وخذلهم الله في رميهم، فلم ينالوا خيرًا.

**فالغزوة بجملتها من صنعه وتدبيره وتوجيهه ﷻ؛ رعاية لأوليائه، واهتماماً بهم، وولاية لهم.**

## المطلب العاشر
## التناسق بين الأفانين في سورة الأنفال

اجتمعت في هذه السورة أفانين متنوعة في نظام واحد لتحقيق مقصد واحد بصورة رائعة، ومن أفانين هذه السورة في غرس حب الجهاد في نفوس المؤمنين :

١) التهيئة الإيمانية قبل الحديث عن أي شيء يتعلق بالجهاد، ولعل هذا يفهم من النداءات الستة في السورة؛ لأن أهل الإيمان أجدر على حسن الامتثال لما يؤمرون به، وتكرار النداء بما يميزهم يثير فيهم الحماسة الإيمانية والحب الإلهي.

٢) التعريف بأحكام الجهاد قبل وأثناء وبعد الجهاد؛ حتى لا يحدث الاختلاف بينهم في المفاهيم والأحكام؛ فينتج عنه التنازع والفشل والضعف فيجرأ العدو عليهم.

٣) قص القصص التي فيها نصر الله لعباده المؤمنين وانتقامه من أعدائهم، وخاصة القصص التي تشابه حالة المؤمنين، وتشابه حالة أعدائهم المتربصين بهم.

٤) بيان السنن الإلهية المرتبطة بالجهاد مثل ( سنة الله في الظالمين – سنة الله في المتقين – سنة الله في القلة المؤمنة – سنة الله في الكثرة الكافرة – سنة الله التغيير– سنة الله في النعم – سنة الله في التدافع ...).

٥) بيان أن لله جنوداً يشاركون المؤمنين في جهادهم للكافرين ( الملائكة – البحر – السماء – الأرض – الرياح ...) وأن الله قد يُعَطِّل سنة من سننه الكونية؛ ليحقق سنة من سننه الاجتماعية، وأن الكون من فيه من جنود الله).

٦) شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا التي لها آثار في ميادين الجهاد سواء كانت مفردة أو مقترنة مثل:( العزيز – الحكيم – العليم – البصير – المولي – النصير – الغفور الرحيم– السميع ...).

٧) انتقاء الألفاظ المحفزة للمجاهدين بعناية فائقة، والتي يعايشها المجاهد في ميدان الجهاد من بداية التهيئة للجهاد إلى الانتهاء منه.

٨) التذكير والتحفيز بأن الله سبحانه وتعالى سيجري على أيدي المجاهدين الأتقياء كرامات الأولياء، وذكر ما حدث مع المجاهدين الأتقياء على مر التاريخ.

٩) خطاب القيادة خطاباً خاصاً يحثهم على الثبات والجلاد في مواقع الجهاد كما كانت يفعل الرسول مع قواده في المعارك.

وبهذه الأساليب والوسائل يكون المربي قد انتهج منهجاً قرآنياً في غرس حب الجهاد كما بينته ووضحته سورة الجهاد.

## ختام السورة

لعل من أسرار هذه السورة أنها ختمت بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٧٥﴾ [الأنفال:٧٥]؛ والمعنى أنه تعالى شرع لكم من أحكام القتال والغنائم، وقواعد التشريع، وسنن التكوين والاجتماع، وأصول الحكم المتعلقة بالأنفس ومكارم الأخلاق والآداب، عن علم واسع محيط بكل شيء من مصالحكم الدينية والدنيوية[١٩٣]؛ فاقبلوا إحسانه إليكم يزيدكم إحساناً.

١٩٣

انظر: تفسير المنار للشيخ رشيد رضا : ١٠/ ١٠٥. بتصرف يسير.

## الاستنباط

## سورة الأنفال دراسة تطبيقية

قولـــه تعـــالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ [الأنفال: ١].

**الاستنباطات:**

- أمر بالتقوى والإصلاح، أي كونوا مجتمعين على أمر الله.
- الدعاء بصلاح ذات البين.(وأصلح ذات بيننا).
- إقامة الجمعيات ولجان التحكيم لإصلاح ذات البين.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال: ٢]

- هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له: اتق الله ويجل قلبه.
- قال العلماء: هذ الآية تحريض على إلزام طاعة الرسول ﷺ فيما أمر به من قسمة تلك الغنيمة.
- هذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته.
- {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً}، استدل به السلف على أن الإيمان يزيد وينقص.
- قوله تعالى: {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، فيه عد التوكل من شعب الإيمان.
- **أضف أخرى**

- .....

.....

.....

قولــه تعــالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٤]

دل هذا على أن لكل حق حقيقة، وقد قال عليه السلام لحارثة:" إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك"؟ الحديث.

- **أضف أخرى**

.....

.....

.....

قولـــــه تعـــــالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنفال:٥]

قال مالك: بلغني أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: (كيف أهل بدر فيكم)؟ قال:" خيارنا" فقال:" إنهم كذلك فينا". فدل هذا على أن شرف المخلوقات ليس بالذوات، وإنما هو بالأفعال. فللملائكة أفعالها الشريفة من المواظبة على التسبيح الدائم. ولنا أفعالنا بالإخلاص بالطاعة. وتتفاضل الطاعات بتفضيل الشرع لها، وأفضلها الجهاد، وأفضل الجهاد يوم بدر، لأن بناء الإسلام كان عليه.

- ودل خروج النبي ﷺ ليلقى العير على جواز النفير للغنيمة؛ لأنها كسب حلال. وهو يرد ما كره مالك من ذلك، إذ قال: ذلك قتال على الدنيا، وما جاء أن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله دون من يقاتل للغنيمة، يراد به إذا كان قصده وحده وليس للدين فيه حظ.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴿١١﴾﴾[الأنفال:١١]

هذا أصل الطهارة بالماء في الأحداث والنجاسات.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قولـــه تعـــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال:١٥]

فيها تحريم الفرار من الزحف وأنه من الكبائر إلا من ولى متحرفاً لقتال بأن يريهم الفرة وهو يريد الكرة أو متحيزاً إلى جماعة يستنجد بها .

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قولـه تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الأنفال:٢٤]

استدل به – ﷺ – على وجوب إجابته إذا نادى أحداً وهو في الصلاة وأنها لا تبطل بذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنفال:٢٥]

قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم بالعذاب.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنفال:٣٣]

فيه أن الاستغفار أمن من عذاب الله.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنفال:٣٥]

قال ابن عباس المكاء: الصفير. والتصدية: التصفيق، أخرجه ابن أبي حاتم، ففيه ذم التصفيق والصفير بالفم أو القصب.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

٣٨- قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾[الأنفال:٣٨].

فيه أن الإسلام يجب ما قبله وأن الكافر إذا أسلم لا يخاطب بقضاء ما فاته من صلاة أو زكاة أو صوم أو إتلاف مال أو نفس.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال:٤١]

فيها ذكر الغنيمة وأنه يجب قسمتها أخماساً، أربعة منها للغانمين، والخمس الباقي يقسم خمسة أسهم لرسول الله – ﷺ – سهم ولذي القربى سهم ولليتامى سهم وللمساكين سهم ولابن السبيل سهم، وفيها أن أداء الخمس من شعب الإيمان لقوله: {إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ} وفي الصحيح "وأن تؤدوا خمس ما غنمتم" .

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قولـــــه تعـــــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنفال:٤٥]

فيها الأمر بالثبات عند اللقاء والصبر وذكر الله كثيراً وترك التنازع والاختلاف فإنه سبب الخذلان، وترك الرياء.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال:٥٨]

فيها إباحة نبذ العهد لمن توقع منهم غائلة مكر، وأن يعلمهم بذلك لئلا يشنعوا بنصب الحرب مع العهد.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال:٦٠]

هذا أصل في المناضلة والمسابقة، وأخرج مسلم عن عقبة بن عامر أنه صلى الله عليه قال في الآية "ألا أن القوة الرمي" ثلاثاً.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال:٦٤]

نزلت حين أسلم عمر تمام أربعين كما أخرجه البزار عن ابن عباس، فاستدل به من قال: أقل عدد التواتر أربعون.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قولــه تعــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ﴾ [الأنفال:٦٥]

الآيات فيها وجوب مصابرة الضعف من العدو وتحريم الفرار ما لم يزد عدد الكفار مثلينا وفيها الرد على من اعتبر الكثرة في السلاح والقوة دون العدد وعلى من لم يحرم الفرار مطلقاً وعلى من منع نسخ الأثقل بالأخف.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩ ﴾[الأنفال:٦٩]

قال ابن الفرس: فيها دليل على جواز الأكل من الغنيمة قبل القسمة؛ لأنه أطلق فلم يخص قبل القسمة أو بعدها.

**أضف أخرى**

.....

.....

.....

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾ [الأنفال:٧٥]

قال ابن الفرس: ويستدل به لمن قال إن القريب أولى بالصلاة على الميت من الوالي[١٩٤].

**أضف أخرى**

.....

[١٩٤] الإكليل في الاستنباط من التنزيل : ١٣٧.